

سلسلة دروس مديح القرآن (٧-١)

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

(الدرس الأول)

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٤هـ

الموافق: ٢٨/٥/٢٠٠٣م

اليمن - صعدة

هذه الدروس نُقلت من تسجيل لها في أشرطة
(كاسيت) وقد أُلقيت ممزوجة بمفرداتٍ وأساليبٍ
من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها
مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

إعداد: يحيى قاسم أبو عوَّاضة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

قال الإمام القاسم عليه السلام^(١): (وفي تبیین ما نزل الله في كتابه من الآيات، وجعل فيه من المواعظ الشافيات، لمن قیله وفهمه) تتكرر كثيراً الكلمة هذه: (لمن قیله وفهمه) لمن تأمله، لمن... لأن القضية هكذا: أن الإنسان لا بد أن يكون عنده اهتمام هو بأن يفتح صدره، يُصغي، يستمع باهتمام حتى يستفيد، ولا تنتهي القضية إلى أنه لا ينفع في الواحد شيء على الإطلاق. ليس هناك شيء أعظم من كتاب الله (القرآن الكريم) إذا كان الواحد لا يتفهم، فلن ينفع فيه شيء نهائياً، أي شيء كان.

(لمن قیله وفهمه عن الله جل جلاله، من عباده البررة المتقين الأتقين ما يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾) أمثلة، وقصص ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ * الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥، ٣٤) هذا مثل لأقصى نور ممكن في ذلك العصر. تصوّر نوراً في مشكاة (كوة) يكون النور مجتمعاً فيها ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ يكون الزجاج نظيفاً، ووقودها زيت الزيتون. ويصف الشجرة بالشكل الذي يكون زيتها جيداً نقياً ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يحاول الإنسان أن يكون ممن عسى أن يشاء الله أن يكون ممن يهتدي.

مسألة الهداية، تأتي الهداية العامة هذه التي تعني: الإرشاد، إرسال الرسل، إنزال الكتب. هذه التي يسمونها الهداية العامة: الإرشاد. لكن يهدي لنوره قضية ثانية، مطلوب أن الإنسان نفسه هو يتسبب لهذه من جهة الله، يهتم، يُصغي، يتفهم، يرجو الله، يدعو الله أن يهديه.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ هذا مثل، نور على أرقى درجة تتصوره، نور على أرقى درجة في محيط مظلم. (فمثل سبحانه ما في كتابه من نوره وهده، وما وهب - من تبينه فيه برحمته - أوليائه) أي: أوليائه، مثله (بمشكاة قد ملئت نوراً بمصباح في زجاجة نقية، ككوكب دري) المشكاة معناها: الكوة، ترى النور فيها مجتمعاً، قد ملئت نوراً. وهنا تتصور (الكوة) تكون متى؟ في الليل، هذا المثل في الليل، أليس في الليل؟ كيف تكون (الكوة) وحدها والنور فيها بهذا الشكل في محيط مظلم؟

فمثل سبحانه ما في كتابه من نوره وهده بمشكاة قد ملئت نوراً بمصباح في زجاجة نقية، ككوكب دري، (ومثل كتابه بما فيه من هده بنور مصباح زاهر مضيئ) مثل ما في كتابه بمشكاة، ومثل كتابه هو بما فيه من هدى ونور بنور مصباح (قد نُقِيَ من كل ظلمة وغُسل، وصُفِّيَا من كل كدر ونجس، فأعلمنا سبحانه بأنه هو نور السموات والأرض) ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كل نور فيها هو منه بهذا المعنى: نور الهداية. الأشياء الأخرى هي من خلقه: الشمس والقمر والكواكب وسائر هذه الدرر، لكن كأنها ليست هي المقصودة أن يتحدث عن المخلوقات التي تضيئ وتنير كالشمس والقمر.

يتكرر كثيراً الحديث عن هدى الله بأنه نور؛ لأنك هنا تتصور معه بأن الحياة تكون ظلمات كلها، تكون الحياة كلها ظلمات. فالإنسان بحاجة إلى هذا النور، كما قال في آية أخرى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢) والتشبيه لها بالظلمة، أليس الإنسان في هذه الظلمة الحقيقية يحترق ويتوقف فلا يدري أين يذهب هكذا أو هكذا؟ هو نفس الشيء في الأمور المعنوية: في شؤون الحياة.

فالإنسان إذا لم يسر على هدى الله يكون متخبطاً في واقعه، لا يدري إلا عندما يضرب برأسه هنا. وكم ضربات تأتي للناس! يكون متخبطاً، أي: ظلام حقيقي، وهكذا يكون حال الناس في ظلمات الضلال مثل حالك وأنت في

(١) هو الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - ولد عام ١٦٩ هـ وتوفي عام

٢٤٦ هـ في الرّس التي تبعد عن المدينة المنورة ٤٠٠ كم شرقاً.

طريق متجه لأي مكان آخر في ظلمات الليل في ظلام شديد، أليس الواحد منا يحاول أن يضرب (الكشاف) ليضيئ قليلاً؛ لأنه يشعر بحاجة ماسة إلى النور في الظلام؟ لو لم يكن إلاّ نوراً بسيطاً في (الكشاف) يضربه يحاول فيه كي يضيئ. أمّا هذا فنور حقيقي. معناه أن الناس يجب أن يكونوا حريصين؛ لأنه يقول: (هناك ظلام ونور، الحياة ظلام، الضلال ظلام، أنتم بحاجة إلى نور) نحن لا نهتم بهذه، فلا يدري الواحد إلاّ وضرب برأسه، لا يدري الناس (أمة أو شعب) إلاّ وضربوا برؤوسهم، متخبطين.

(فأعلمنا سبحانه بأنه هو نور السموات والأرض ومن فيهما) هو مصدر النور الذي هو الهدى للبشرية في هذه الحياة هو الله سبحانه وتعالى، نور الهداية. (إذ هو الهادي لكل من اهتدى من أهليهما) ولن يحصلوا على الهدى إلاّ من عنده. الإمام القاسم يتحدث كثيراً عن موضوع هداية الملائكة. الملائكة لا تتصورهم خلقاً هكذا يُخلَقون مَهْدِيَّين جاهزين (أوتوماتيك). إن كل هدى مصدره من الله، وكل كائن (كل مخلوق) يحتاج إلى هدى الله وهداية الله؛ الملائكة، الأنبياء، البشر. البعض يقولون: (أمّا أولئك فإنهم ملائكة) كأن الله خلقهم جاهزين! هنا يؤكد في أكثر من موضوع بأن الملائكة هم محتاجون إلى هداية الله.

[الله سبحانه وتعالى قدّم كل الوسائل التي تؤدي إلى] لملة الناس أن يسيروا في صراطه المستقيم، وأن يسيروا على هداية بكل الوسائل. مثلما قلنا بالأمس إنه أكثر مما قال الشيطان، عندما قال الشيطان: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧) ألم يقل هكذا وهو يريد أن يضلّ؟ الباري جاء للإنسان من محيطه كله لمحاولة هدايته، ما زال هناك من فوق، ومن تحت، ومن داخل، ومن كل جهة وبكل وسيلة. (وقد قيل في التفسير: إن المشكاة هي الكوة التي يُجمع ما فيها كما يُجمع ما فيه السقاء والشكوة) هنا يقول: الشكوة: الوعاء من جلد. هكذا قيل في التفسير. (فنور هدى كتاب الله محفوظ بالله مجتبع، وكل من وفقه الله لرشده فهو لأمر الله كله فيه متبع، لا يسوغ لأحد عند الله من خلافه سانغ، ولا يزيج عن حكم من أحكام الله فيه إلا زانغ، يزيج الله قلبه بزيغه عنه، ويفارق من الهدى بقدر ما فارق منه، كما قال علام الغيوب وخالق ما ضل واهتدى من القلوب: ﴿قَلَمًا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥)).

هذه تتكرر في القرآن كثيراً، وأكثر من أن تُبادر إلى مسألة كيف تتأولها حتى لا يلحق الباري أثام! لا، افهم أن القضية خطيرة. حاول أن تتسبب لنلا يزيج قلبك، لنلا يطبع على قلبك، لنلا تضل، تسبب للهدى من الله. هذه تكررت في القرآن بشكل كبير، وفيها تحذير رهيب؛ لأن القضية لا تعتبرها قضية على مزاجك "أستمع، ومتى ما أردت أن أهتدي أهتدي، والبادي مني أفتّح، والبادي مني أصحّ" (١)، لا، هو يعرض عليك الهدى فعندما لا تصغي ولا تهتم ستقع في ضلال.

القضية خطيرة جداً، يقسو قلبك، فتري آخرين من الذين لم يسمعوا شيئاً وإنما لأول مرة يسمع، قد يكون أكثر منك استفادة، عندما يحضر وهو مهتم. ألست تجد أن هناك نوعية تأتي تدبغ فيه تدبغ فلا ينفع شيء معه؟ من النوعية هذه: سوف يسمع وعنده أنه فيما بعد وليس الآن، وممكن أن يفتّح متى ما أراد، وممكن أن يهتدي متى ما أراد! لا، الموضوع مُقدّم على أن كل قضية هي من الهدى يجب أن تكون مهتماً بها بوقتها، كلما تسمع تهتم. لا تقل: ليس الآن.

﴿قَلَمًا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذا الأسلوب قائم. لو تلاحظ الإمام القاسم (عليه السلام) هنا لا يكون مشغولاً بمسألة التأويل، كيف يتأول: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أزاع، أي: خذلهم فزاعوا فكانه هو... إلخ) لأن الإمام القاسم (عليه السلام) يتحدث عن الموضوع من منطلق هداية؛ لهذا قال في مكان آخر عبارة يوصي أولاده أن ينظروا إلى القرآن الكريم ككتاب هداية.

لا حظ كلمة (هدى، هداية) النظرة هذه إلى القرآن الكريم غابت، وهي تترتب عليها فوارق كثيرة جداً، انظر إليه ككتاب هداية، واعرف الهداية ما هي، كتاب هداية لمجالات واسعة جداً، لكل شيء، كل شيء ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٤) ومع هذا يقول بعضهم: لكن (لا يكفي)! يقول الله: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: (لا يكفي)! ﴿قَلَمًا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه حقيقة، عندما تزيج، تحاول أن تتملص، لا تهتم، يزيج الله قلبك، ثم

(١) البادي مني أفتّح: من اللهجة العامية، وتعني: متى ما أردت.

يقسو، فلا ينفع فيك شيء، إلا إذا حاولت أن تقحم نفسك، وترجع إلى الله هو، ترجع إليه هو وتتوب إليه، وتستغفر، وتحاول أن تطلب منه أن يهديك، وإلا فهذه حالة خطيرة.

لا ترجع القضية إلى مسألة: هل هو سيأتي على الباري أثام؟! هذا الموضوع بُحِثَ في كثير من الأشياء من قبل الذين ينطلقون لـ (التأويل) لنزاهة الله حسب زعمهم، أصبحنا في الأخير من نسمي أنفسنا (عَدَلِيَّة) أصبحنا لا نقل سوءاً عن (المُجِبِّرة) حقيقة، لا نقل سوءاً عن المجبرة! خاصة في الزمن هذا.

لا يوجد تنزيه لله، ولا حتى الأسلوب الذي كانوا يسيرون عليه الذي يسمونه (التأويل) ليس أسلوب تنزيه نهائياً، ولا يكفي لتنزيه الله ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أي: خذلهم، فراغوا؛ فوقعوا في كذا، فكأنه هو، فنسب الفعل إليه نسبة مجازية؟! أليسوا يقولون هكذا؟ أينما لقيناها (طبع، أضلّ، أراغ... إلخ) أي: يكون معناها وكأنها عبارة سيئة، (أراغ) مشكلة، (ضلّ) مشكلة، (طبع) مشكلة! وإذا الباري هو لا يبالي بنفسه، إنما فقط نحن نحاول أن "نستر عليه هو"! لا. ^(١)

هذه حقيقة: إذا زاغ الإنسان عن هُدايه، لم يرضَ أن يتفهم يُزيغ قلبه ويعيش في الظلام وفي الضلال؛ لأن الإنسان قد أصبح يُعتبر في حالة فسق، أنت خرجت ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يخرجون؛ لأنه ماذا؟ يقدم الشيء على أرقى مستوى، قدّم هُدايه إلى عباده على أرقى مستوى، يصطفي رسلاً على أرقى مستوى، ينزل كتباً ويقول فيها: هدى، نور، شفاء، تبيان... إلخ، ومع هذا ما زلت ضالاً!

أليست هذه موجودة عند البشر؟ أي: كمثال - والله المثل الأعلى - يقول البعض عن ابنه: (صَلَّحْتُ له كذا.. قد عملت له، ختنت، زوّجت، عملت كذا، و، و... ولم يفهم) وفي الأخير يضربه ويطرده ولا يبالي به، أليس الناس يقولون هكذا؟ أيّ واحد سيقول: (أمانة أشهد لله لم يعد عندك حُجة، فعلاً هو فاشل، هو كذا، كذا، ولا يصلح لشيء) أليست هذه فطرة؟ هل أحد يعيب عليك بعد فيقول: (يا أخي ابنك لماذا قمت بطرده؟) ستقول: (يا أخي عملت له كذا، أكل كل ما معي، وما عمل لي أي شيء، ولا، ولا، ولا) وتعرض كل ما قد قدّمته له، وبقناعة سيقول: (أشهد لله ما عندك فسلة). ^(٢)

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ من يزيغ بعد هُدى الله، بعد القرآن الكريم (أشهد إنه يستحق أن يزيغ الباري قلبه أينما وصل يصل) ينتهي إلى جهنم، هو فاسق، خرج. هذه هي حالة ليست بسيطة، حالة "البهطلة" ^(٣) هذه التي فينا، لا تتوقع أن الناس مع "البهطلة" يمكن أن يكونوا كل سنة أفضل، لا، سيكونون أسوأ: أسوأ في نفسياتهم، في تأثيرهم، في مجتمعهم. في الأخير من جاء يعظ يعظ، من يعلم يعلم، يدبغ، يدبغ! قد صاروا يريدون انطلاقة جديدة من داخل مع الله، تتعة جديدة ^(٤) إذا صحت العبارة. تتجه إلى الله، وتعرّض على أنك فعلاً كل قضية من الهدى يكون لها قيمة عندك، يكون عندك روح عملية تنطلق في كل مجال تسمعه من الهدى، تتفهم، وفي الأخير ستري الأشياء واسعة جداً جداً، وسائل الهدى، وترى أنه طمأنينة.

أليس الله يتحدث عن المؤمنين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)؟ هنا يسميه شفاء، الناس يكونون في حالة مرض، أمراض كثيرة، يسمي القرآن بأنه ﴿شَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: ٥٧). نحن لا نفكر في هذا، أي: في الحالة التي أنت لا تهتدي فيها بالقرآن الكريم تأكد بأنك مليئ بالأمراض، ولم يعد لأحد قيمة عند أحد. أليس الناس يصبحون هكذا؟ يكون الواحد ضاجراً على نفسه، والناس ضاجرين على بعضهم بعض، ولم يعد لأحد قيمة عند أحد.

لكن يتجهون اتجاهاً آخر، تجدهم يشعرون بعلو في نفوسهم، رفعة في نفوسهم، طمأنينة في نفوسهم، ارتياح في نفوسهم، قيمة لبعضهم بعض واحترام لبعضهم بعض. ويكون لا يزال الواحد يسمع ويفهم ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الله قُلُوبُهُمْ تكون ما زلت تسمع وتفهم لكن بدون أي أثر، تسمع وتفهم بدون أي أثر إذا كان الواحد غير مهتم، ثم يتخبط

(١) نُسَرَّ عَلَيْهِ: من اللهجة العامية، وتعني: نُغَطِّي على أخطائه.

(٢) ما عندك فسلة: ما عندك تقصير.

(٣) الْبَهْطَلَةُ: من اللهجة العامية، وتعني: التَّكَاسُلُ وغيَمُ المبالاة.

(٤) نَتْعَة جديدة: شبه حالتهم بحال السيارة التي تحتاج إلى دفعة لإعادة تشغيلها، وتعني: انطلاقة جديدة.

في حياته.

(وفيما جعل الله في كتابه من الحكم والفرقان والفصل، ما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (الطاقة: ١٣) بعد قسم قبل هذا. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾: فصل في كل قضية ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (الطاقة: ١٤) ما هو لعبة، ما هو كلام كيفما كان، أو "خدرة تخزينة"^(١) كما يقال، لا، بل هو قول جاد، قول محكم، قول مفصل، قول فصل.

(والفصل فهو الحكم الجَد الرشيد) حكم جاد، ورشد (والهزل فهو اللعب والكذب والتفنيذ، وفي ذلك ومثله ما نزل الله فيه من فصله) من الحديث عن أنه فصل وتفصيل (ما يقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١) والفرقان فهو التفصيل من الله فيه لرشده) فرقان يفصل ما بين الحق والباطل، يبين الحق من الباطل، الخطأ من الصواب، الهدى من الضلال.

لكن تكون الإشكالية أحياناً عند الإنسان عندما لا يكون عنده مشكلة سواءً يكون حقاً أو باطلاً، هدى أو ضلالاً، خطأ أو صواباً، هذه روحية سائدة عند كثير من الناس، باطل أو حق كله سواء عنده! لا، لا بد أن ترى الضلال خطيراً جداً، تتخوف منه وتراه خطيراً، والقرآن الكريم ركّز على النقطة هذه: أن الإنسان يجب أن يكون حذراً جداً من الضلال، والوقوع في الضلال، وتكون كلمة (ضلال) ترعجه، كلمة (باطل) ترعجه. يتحدث عن يوم القيامة، وإذا كل من يصيحون يصيحون من الضلال. الذي ورّطهم هو الضلال، وكانوا في ضلال، والذين أضلوهم في الدنيا، أليسوا كلهم يصيحون من الضلال؟

هنا في الدنيا عندما تقول له: (يا أخي هذا باطل، هذا ضلال، هذا خطأ) لا تتحرك فيه شعرة، طبيعي لديه، لا يوجد هناك انزعاج! هذه هي النفوس الميتة. الذي لا ينزعج للباطل، لا يؤلمه الباطل، لا يعتبر الباطل فظيلاً، والضلال فظيلاً، قبيحاً، سيئاً، فتأكد أنه لا يكون للهدى قيمة عنده، ولا للحق قيمة. قيمة الحق عندك هو بمقدار ماذا؟ كراهيتك للباطل، انزعاجك من الباطل، قبح الباطل في نفسك.

(فمن لم يرشد بكتاب الله فلا رشده) هذا أيضاً من الأسلوب الذي يمشي عليه الإمام القاسم عليه السلام في هذا الكتاب؛ بأنه فعلاً في الأخير يدعو عليه: "لا جعله يرشد، لا رشد، وفي ستين داهية".

(فمن لم يرشد بكتاب الله فلا رشده، ومن ابتعد عن كتاب الله فبعده، كما بعدت عاد وثمود) لماذا يقول الإمام القاسم عليه السلام هكذا؟ لأنه يفهم القرآن الكريم، إذا لم يعد ينفع فيك القرآن ففي ستين داهية على ما نقول "لا جعلك ترشد، ولا جعلك تهتدي، ولا..."^(٢) لأن الله يقول: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الباقية: ٦) ماذا بقي من شيء تتوقع أنه ممكن أن يؤثر فيك؟ إذا وجدت نفسك لا يؤثر فيك القرآن تأكد أنك في وضعية لم يعد هناك شيء آخر ممكن أن يؤثر فيك أبداً.

(ومن لم يهتد في أمره بكتاب الله وتنزيله، لم يهتد بغيره) بغير القرآن (للحق أبداً ولا لسبيله) لن يهتدي، أليس هو يأتي بعبارات قاطعة؟ لن يهتدي. (لم يهتد بغيره للحق أبداً ولا لسبيله) لسبيل الحق (بل لن يبصر ولن يرى للحق عيناً ولا أثراً) وهو يريد أن يعرف الحق، أليس الإنسان أحياناً يريد هو من جهة نفسه، أي: يتحرك هو، عنده لا يزال داخله شيء - ما زال - ممكن أن ينير له الطريق أكثر من القرآن، أو شيء أكثر من الله، بهذه الانطلاقة الفردية، أنه هو ذكي، وأشياء من هذه، يريد أن ينطلق هو! أبداً، الهدى لا يكون إلا بكتاب الله وبالله، لا يكون إلا بهذا؛ ولهذا قال: (بل لن يبصر ولن يرى للحق عيناً ولا أثراً، ولا يزال - ما لم يراجع - متحيراً ضالاً، ومعتقداً - ما بقي كذلك - حيرة وضلالاً) لا يزال متحيراً ضالاً، ولا يزال دائماً معتقداً حيرة وضلالاً.

لاحظ الإمام القاسم عليه السلام هو يعبر لك وكأنه يحكي واقعاً ملموساً، أي: يلمس؛ لأنه إنسان ذكي، إنسان عالم كبير، إنسان متفهم، يعرف الناس، يعرف الإشكاليات التي لديهم من أين منشؤها. فالذي لا يهتدي بالقرآن سيظل دائماً في حيرة، وضلال في معتقداته، رؤاه، معتقداته، آراؤه كلها حيرة وضلال.

(يَعُدُّ نَفْعاً لَهُ مَا يَضُرُّهُ) قد صار يسير بالمقلوب (ووثقة عنده أبداً من يفرّه، مرحاً لهلكته فرحاً) أليس هو هنا

(١) خدرة تخزينة: من اللهجة العامية، وتعني: لحظة الانسجام التي يعيشها من يتناول أوراق شجرة القات.

(٢) لا جعلك ترشد: لا رشدت.

يتحدث عن المقلب، عندما يصير الواحد مقلوباً؟ هذا هو الضلال. تجد هذه حالة قائمة عند الناس. (يرى غشه له برأ ونصحاً، يخطب بنفسه كل ظلمة وعشواء، متبعاً في دينه وأمره كله لِمَا يهوى. إن قال مبتدياً عسْفَ لأنه ليس بإمكانه أن يهدي (أو حكى عن غيره حرف، افتراء وبهتاناً) ولا يكون الواحد عارفاً أنه لا يقول الصدق! إن قام يخطب يكون (قلب): يتحدث خطأ، ولا يكون الناس دارين، ويعيشون في حالة من هذه.

(وقسوة ونسياناً، أثره منه للباطل على الحق) أحياناً قد يكون الإنسان - ليس في الحالة الدائمة - مؤثراً للباطل على الحق، يوجد عنده قضية وهي التي ينطلق منها، هي قضية باطلة، فتحاول أنت أن ترشده إلى الهدى فيها، إلى الحق فيها، يتشبث بأشياء، ويجلس ينطلق عليها، وتكون هي قضية يتفرع عنها أشياء كثيرة جداً من أعماله، ترى تلك القضية مثلاً في خطابات، تراها في رؤاه، تراها في آرائه، تراها في مواقفه.

(ونقصاً لِمَا عقد عليه من العهد والميثاق، كما قال الله سبحانه: ﴿فَبِمَا تَفَضُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (الأنعام: ١٣٠)) قست قلوبهم، ألم تقس قلوبهم؟ متى قست؟ بعد أن عرض عليهم الهدى على أرقى مستوى ولم يقبلوه ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ تتحول قلوبهم إلى قلوب قاسية.

القلوب القاسية لا تكثر من الوقوع في الباطل، لا يكون الباطل عندها شيئاً موحشاً. ينطلقون يحرفون الكلم عن مواضعه مثلاً قال عنهم في آية أخرى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥) هذه نوعية. وقد يتطور الإنسان إلى الحالة هذه، إذا كان من البداية لم يتقبل الهدى، قد يتطور إلى الحالة هذه.

وفي الشيطان عبرة، الشيطان نفسه أولاً انصرف عن تنفيذ أمر إلهي، عاند بعد أن قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ﴾ (ص: ٧٥) ألم يعاند؟ بسبب العناد قسا قلبه، وفي الأخير تحول إلى شيطان مريد، وكان من قبل عبادة، على ما يروى كان عبادة مئات السنين أو آلاف السنين؛ لأنه في الحالة هذه متى ما قسا قلب الإنسان متى ما زاع قلبه، في الأخير ينطلق في الباطل متجرناً غير مكترث ولا مستوحش.

(﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾) نصيباً أو قسطاً كبيراً مما ذكروا به، أيضاً ينسونه ﴿وَلَا تَرَأَى تَطَّلِعَ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٠)) فهنا يُقدِّم لك الصورة للذين تحدثنا أنهم يسيرون بالمقلب ﴿وَلَا تَرَأَى تَطَّلِعَ عَلَى خَائِنَةٍ﴾ تحريف للكلام عن مواضعه، نسيان لذكر الله، ونسيان لِمَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

طيب، هنا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ هل معناه أن يعرض عن هؤلاء فقط؟ هم بهذا الشكل. ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلى لَمْ يَمْشِ في مسيرة عملية لبناء أمة، أترك هؤلاء على جنب، ليس الآن وقتهم، أي: ليسوا هنا العدو الذي يشكل خطورة كبيرة عليك الآن في طريقك. اشتغل وستلحقهم في أي وقت. ألم يتجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلى لَمْ يَمْشِ لبناء أمة؟ حصل من عندهم نكث لِمَا عاهدوا عليه لِمَا وضع عليهم من شروط؛ فضربهم.

(فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره وأمور غيره بتنزيل رب العالمين) عنده أنه لن يكفي، يريد أن يعظ الآخرين، يبحث له عن كتب أخرى في (الترغيب والترهيب) تلك التي تكون مليئة أخطاء رهيبية. يا أخي: (هذا القرآن، وعظ من القرآن) لكن لم يعجبه وكأنه لا يكفي! لا يرى أن القرآن سيترك ذلك الأثر؛ لأنه قد صار لديه خطأ هو في فهم ما هي الخشية، ما هي الحالة النفسية التي تكون أثراً لِمَا يُقدِّم، الحالة المطلوبة. يظن أن هذا الكلام أحسن أن يركّز عليه! لا، القرآن الكريم قدّمه بشكل صحيح، وكفاية، وقل لنفسك (يكفي أو لم يكفي) أليس من الممكن أن يقول الواحد هكذا؟ (الباري هو جاء لنا بالقرآن، وليس لدينا إلا القرآن، وليس له إلا القرآن منا، وهو أرقى ما يمكن أن نصل إليه) لو نصبح فعلاً نقول: ليس له إلا القرآن منا، ونتبع القرآن ونسير على القرآن، أليس أرقى مستوى؟

(فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره وأمور غيره بتنزيل رب العالمين) إذا أنا أعطتك بالقرآن ولم تبك، فليست مشكلة أن تبكي أو لا تبكي، ليست هذه قضية. فإذا أنا أريد أن أعظ أحداً وأجعله يبكي أنطلق أبحث له عن أحاديث من أحاديث (الترغيب والترهيب) من تلك النوعية الأخرى لأجل أن يبكي! لا. ربما لو أن الناس يتفهمون القرآن بشكل كبير تحصل عندهم خشية من النوع الآخر من النوع المطلوب: خشية لله، وهذه هي

المطلوبة.

(كيف عظم ضلاله وغيه، وضلت أعماله وسعيه، فيحسبه محسناً وهو مسيء، ورشيداً في أمره وهو غوي) ضلت أعماله وسعيه، فيحسب أعماله وسعيه، أو يحسب عمله وسعيه، أو يحسبه غيره في أعماله هذه محسناً وهو مسيء! كما تقول - أليس الواحد سيقول في الأخير -: (أحسن الله إليك، جزاك الله خيراً) أحياناً؟ قد يقوم الواحد يرشد بالقلوب وهو لا يعلم، هو يريد أن يعظ الناس. فقالوا: (أحسن الله إليك، وجزاك الله خيراً) أليسوا يرونه محسناً؟ وهو في الواقع غير محسن إليهم، بل مسيء إليهم، وهم في الواقع لا يعلمون بأنه يسئ إليهم ويسئ إلى نفسه. (أحسن الله إليك، وجزاك الله خيراً)!

الإمام القاسم عليه السلام يتحدث وهو يرى مظاهر من هذه في عصره، وكان معروفاً أن الإمام القاسم يبكي على الأمة من الحالات هذه: هي بهذا الشكل، والقرآن بهذا الشكل، لماذا؟ هذا القرآن العظيم نور، وهدي، شفاء، وأشياء من هذه، والأمة على هذه النوعية.

(فيحسبه محسناً وهو مسيء، ورشيداً في أمره وهو غوي، كما قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وعلى أهله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٣، ١٠٤). أليس هذا هو الذي ظن - والله المستعان - ضربه له نفعاً، وحسب ضلالته هدى، وهدايته إلى الجنة ردى؟ ولذا بعض الناس عندما يقول: (لا يجوز أن ترفع شعاراً من النوع هذا في المسجد)! قل يا أخي: (ألا تدري أنك أنت الذي تعمل جريمة كل يوم في المسجد، تقوم بتدريس كتاب معين، وعندك أنه هدى، ومن كتب الهداية، وهو ضلال وظلمات بعضها فوق بعض؟ وهو يتصور بأن الملائكة تفرش أجنحتها له هو وطلابه! وهم في المسجد إماماً عند المحراب أو في مكان آخر. ومن هذا النوع المقلوب الذين يتحدث عنهم الإمام القاسم. (وهدايته إلى الجنة ردى) عندما تهديه إلى الجنة، وتهديه إلى طريق الجنة، يعتبرها ردى، يعتبرها ضلالة، يعتبرها مهلكة، يعتبرها تردياً به، لا يرضى أن يسمعك.

(كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦، ٣٥) وهذه من أخطر المراحل التي يصل إليها الإنسان: أن يصبح في ضلال، في باطل، وما زال يعتبر أنه مهتد! ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ عن ذكر الله، ذكره هو، وذكره الذي هو القرآن الكريم. ﴿نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا طَيِّباً﴾ عندما تسمع مثل العبارات هذه ليس معناه أن الباري يقدم كلاماً قليلاً إذا لم ينفع فيك فبسرعة يقبض. لا، بعد القرآن الكريم عندما لا ترضى أن تفهم، بعدما تعرض لا تبصر وهو يقدم لك القرآن الكريم هنا تستحق أن يقبض لك شيطاناً: يهئ شيطاناً، لم يعد يبالي بك، شيطان، ووراءك يوقعك في الضلال، حتى تصبح أنت شيطاناً من النوعية هذه؛ لأن هذه من أرقى ما يريد الشيطان أن يصل بالناس إليه؛ لأنه لا يريد منك أن تعمل معصية، أو تدخل في باطل وأنت ما زلت مستوحشاً هكذا، أو ما زلت تتألم قليلاً، بل يريد أن يدخلك في باطل، فتصبح في الأخير مقتنعاً بهذا الباطل، فتنتقل جندياً لهذا الباطل، على أساس أن تشتغل، هو لا يشغل نفسه بك دائماً، يريد أن يوصلك إلى أن تكون شيطاناً تشتغل أنت وهو يهتم بشخص آخر.

وهذه أخطر مرحلة على الإنسان أن يصبح في باطل فيجند نفسه للباطل، ويخسر في الباطل، ويطلع وينزل في الباطل، ويقدم أمواله في الباطل، ويقاقل من أجل الباطل، ويسجن من أجل الباطل. أليس هناك أناس بهذا الشكل؟ يكون هكذا عندما يصل إلى الدرجة هذه.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ تنكشف المسألة بعد: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُبْسِ الْقَرِينُ﴾ (الزخرف: ٣٨) أي: كيف تعرف؟ المقياس هو القرآن الكريم. حتى تعرف هل أنت من النوعية هذه، أم أنت من النوعية المستقيمة؟ القرآن الكريم هو المقياس. إذا رأيت نفسك أقرب ما تكون إلى القرآن الكريم في حركته في حيويته، وليس إلى القرآن الكريم برويتك التي تغطي على أكثره وتحكم عليه أشياء أخرى. ارجع إلى القرآن الكريم على ما هو عليه في حيويته، في حركته، في مقاصده تجد حركتك وتوجهك منسجماً معه، إذا فلست من هذا النوع، أنت لا تعشو عن ذكر الرحمن أبداً، لست من هذا النوع. لذلك يلاحظ الواحد أنه إذا كانت المسألة قد تصل إلى هذه الدرجة أن تصل إلى أن تدخل في باطل حتى كأن

هذا الباطل قد صار هدى. (...)

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ هم النوعية الذي ينطلق فيما ينطلق فيه، وأي بصيص نور يبدي عليه، أو تريد أن تحركه قام يغطى عليه، قد اقتنع بتلك الأشياء، وعليها ومنسجم، وفي الأخير يحاول أن يفكر كيف يعمل نفسه تبريرات أكثر (وهذا عليه العلماء، وكان قبلك الأنمة: الإمام الفلاني، والإمام الفلاني، وفلان، وفلان، و... إلخ) وبقي على تلك الحالة!

لا، القرآن هو المقياس، إن كنت تجد أنك فعلاً منسجم مع القرآن، ولست من النوع الذي يحاول أن يغطي، "ويلجئ، ويُسّر" (١) ويقول: (أبدأ، هذه ليس وقتها الآن، هذه منسوخة، وهذه كذا كذا) فإذا حالتك صحيحة.

(وفي القرآن وأمره، وما عظم الله من قدره ما يقول سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (العنكبوت: ٢١) أين الأكبر أنا أو الجبل؟ أي واحد من الناس أو الجبل، وأين الأقصى؟ الجبل وهو صخور صماء. يقول لك: هذا القرآن الذي ترون أنفسكم أنه لا يؤثر فيكم لو أنزل على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله. فمن يعظ الناس، من يعلم الناس إذا ما زال عنده تفكير آخر، منهجية أخرى، علوم أخرى، عنده أنها ستكون أكثر أثراً من القرآن فليرجع إلى الآية هذه. والقرآن هذا هو بالشكل الذي لو أنزل ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

فعندما نجد أنفسنا لا يحصل عندنا خشية من الله فلا يوجد خلل في القرآن الكريم؛ لأنه أحياناً قد يبحث الواحد هنا وهناك - إذا رأى الناس ليس عندهم خشية من الله، أو إذا رأى نفسه ليس عنده خشية من الله، في الأخير - يبحث عن أشياء أخرى! لا، أفهم بأن القرآن لا يوجد فيه إشكالية، بل الإشكالية عند الناس، ترجع لمعالجة الإشكالية عند الناس من القرآن نفسه، لماذا؟ قد تكون في أسلوبك أنت وأنت تقدم القرآن، يوجد قصور في تقديمه، أنت تغفل أشياء داخله مهمة جداً.

وقد تكون بعض الأشياء من أسباب أن يغفلها الناس مفهوم ناتج عن قراءة أشياء أخرى، أو (أصول) أو (قواعد أخرى) في قضية ألا يستفيد الناس من قصة آدم مثلاً، وقصص أخرى في القرآن الكريم، التي يعرض فيها نوع من الخطأ لداود عليه السلام أو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه ينطلق بروحية أنه يحاول أن يسر على محمد، وعلى داود، وعلى آدم (صلوات الله عليهم). فنسي أن يستفيد من قصة آدم، هذه القصة العظيمة الرهيبة التي فيها عبر لأول رجل وامرأة من البشر، أب وأم هؤلاء البشر جميعاً، حول المعصية، وأثر المعصية، وكيف كان الهدى، أي: فيها نموذج كامل، نموذج أن الهدى يأتي من عند الله كاملاً، وبيناً.

ألم يقل له: ابق هنا، لا تقرب هذه الشجرة، لا تأكل من هذه الشجرة؟ ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةُ﴾ (البقرة: ٢٥) أليس هذا تبييناً؟ لم يقل شجرة هناك من وراء تلك (البلسة) وكذلك أو من الزيتون الفلانية وكذلك (٢) لا تقربها. فيقول في الأخير بأنه ما درى، أنه ما بين له. ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ﴾ أليس هو يقول: ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةُ﴾؟ هذا نموذج، مثل للهدى الإلهي، والتبيين الإلهي أنه يكون بهذا الشكل كاملاً.

في الجانب الآخر الذي قد يكون مصدر إضلال له يقول له: الشيطان، وهو يعرف الشيطان، آدم هو يعرفه ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عدو مبين. لا تصغ إليه، انتبه له، قد يخرجك أنت وزوجتك من الجنة. أنت إذا قاربت الشجرة هذه، وأكلت منها فستشقى، أنت إذا أصغيت لهذا الشيطان فسيغويك ويشقيك. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ﴾ (طه: ١١٥) عهدنا إليه، كلمناه، وقلنا له: لا تقرب هذه الشجرة، الشيطان عدو، اجلس هنا، إذا أكلت منها فستشقى، و... إلخ. أليس هنا يقدم لك أن هدى الله يكون واضحاً تماماً؟ الإنسان لا يغلط لقصور من جانب الله، من جانب هديه على الإطلاق.

لكن آدم نسي، مثلنا ﴿فَنَسِيَ﴾ نسي ماذا؟ نسي أهمية ما قدم إليه، عندما كان يقول له: إن الشيطان عدو لهم،

(١) التلجيم: من اللهجة العامية، ويعني: التلقيق. يسر: يغطي.

(٢) من وراء تلك البلسة وكذلك: من الجهة الأخرى. البلسة: شجرة التين.

ينتبهون له، لا يغويهم، لا يصغوا إليه. ألم يذكره فيما بعد؟ ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٢). آدم هو كاره للشيطان لكن نسي أن يتعامل مع الشيطان بحذرو يقظة، ولو قدّم الشيطان نفسه ناصحاً كيفما كان، نسي والشيطان يتقلب بين يديه، أنه ناصح له، وأنه ما يريد إلا أن يكون ملك، ويكون، ويكون. أحياناً ينسى، لاحظ هذه حالة تحصل عند الناس، يأتي شيطان من البشر، ويُقدّم نفسه ناصحاً لك في موقف مُعَيّن، أنه ناصح لك، ولا يريد إلا مخرجك، ولا يريد، ولا يريد (ونريد أن ترجع لفلان، وأنا عارف أن فلاناً هو عدو الله لكن سينفعك و... هنا تنسى، وتسير وراء الشخص هذا).

ألم يشقّ آدم عندما خرج؟ إذا الإنسان شقي في هذه الدنيا بسبب عصيانه لله، بسبب خروجه عن هدي الله، بسبب نسيانه لهدي الله، أنه لم يعطه قيمة، أي: هو مطلوب من الإنسان أن تكون نفسيته نفسية يقظة، دائماً منتبهاً، حذراً، يقظاً، لا يكون عرضة لأن ينسى، ويأتي أحد من الناس يغويه فينسى الأصول التي يجب أن ينطلق منها في رؤيته لهذا الشيطان الذي يحاول أن يغويه.

هذه واحدة منها، أو مثلاً فيما يتعلق بهذه النقطة المهمة التي ننتقل فيها تحت عنوان: عدل الله، وحفاظاً على تنزيه الله، وننسى أصل المسألة: أن تنزيه الله هو قضية كبيرة جداً عند الله، أي: هو سبحانه وتعالى هو يقول: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (التقابن: ١) طبع الأشياء كلها تكون ما بين مُسَبِّح بلسان الحال، والمقال. تكون كل الأشياء تشهد بتنزيهه، فقضية تنزيهه عنده قضية مهمة جداً جداً. لماذا تأتي بسرعة كأنك "فارغ في الباري"؟! (١) خرجت كلمة من طرف فمه لم ينتبه لها ﴿أَرَأَيْتُمُ اللَّهَ قُلُوبُهُمْ﴾ وهنا مثلما يقول في آية أخرى: ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ (الزخرف: ٣٦) وآية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

فتكون أنت مشغول تستر على الباري، كلمات تأتي من عنده كأنه لا ينتبه لها أن فيها مساساً بتنزيهه! هنا تنسى موضوعاً مهماً جداً عندك وعند الآخرين، منهجاً مهماً، وهو أن تذكّر الناس: يا جماعة، الإنسان إذا لم يتقبل هدي الله، هذا الذي هو هدى، نور، كذا، كذا، سيكون عرضة لأن يزيغ قلبه، لا ينفع فيه شيء، سيكون عرضة إلى أن يقسو قلبه، سيكون عرضة إلى أن يقبض الله شيطاناً معه، سيكون، سيكون... ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ (التوبة: ١١٥) هذه المنهجية لا نسير عليها نهائياً؛ لأنه حصل لها مفهوم غلط عند (المجبرة) ومفهوم قاصر جداً أيضاً عندنا نحن (العدلية) وتركنا منهجاً مهماً جداً؛ لأنه مثلما قلنا بالأمس: هذه كلها هي تقدّم لك منهجاً في خطابك للناس.

أليس القرآن هدى؟ وأنت تهدي الناس انطلق انطلاقة القرآن. لكن لا تفهم ﴿أَرَأَيْتُمُ اللَّهَ قُلُوبُهُمْ﴾ على طريقة (الأشعرية) مثلاً، أو (المجبرة) ولا تنطلق في التلفيق، و"الطّمرة" إلى الآية هذه تحاول أن تغطي عليها (٢) وتأتي من تحت مثلما يعمل (العدلية) مثلما نعمل نحن، لا؛ لأنهم أحياناً بلغوا إلى مسألة وكأنه يحاول أن يعمل ألا يجي على الباري أثام!

الباري سبحانه وتعالى هو خارج عن إطار (عليه أثام أو ليس عليه أثام) نحن نقول منذ فترة: القضية هذه (إثم أو ما إثم) ليست مقياساً، الله متى ما قال إنه سيفعل شيئاً فهو سيفعله، وهو حكيم، ومنزه في فعله، ولن يفعل معصية، ولن يفعل فاحشة، ولن يفعل قبيحاً على الإطلاق، لن يفعل قبيحاً على الإطلاق.

﴿فَيَمَّا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ لاحظ أن الأشياء يكون لها أسباب من عندك ﴿فَيَمَّا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ فأصبحوا هكذا: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ بسبب ماذا؟ قلوبهم أصبحت قاسية، أصبحت عندهم جرأة على الباطل؛ لأنهم من البداية لم يقبلوا أن يهتدوا نهائياً. عندما انطلقوا من منطلق: (إذا قلنا هو جعل قلوبهم قاسية إذا فلم يعد باستطاعتهم أن يطيعوه، فكيف سيعذبهم وهو الذي جعل قلوبهم قاسية؟! طيب: الفكرة هذه هي تقوم على أساس من عند ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ ووراء، لا يتذكرون ما قبلها.

(١) فارغ: من اللهجة العامية، وتعني: كأنك تُدافع عنه.

(٢) الطّمرة: سُرعَة الوَثْبِ والقَفْرِ.

الإمام القاسم عليه السلام يقول: الله يُضِلُّ، لكن يُضِلُّ مَنْ؟ الفاسقين، الظالمين، وقال في آية صريحة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ (التوبة: ١١٥) أولاً يهديهم، ثم أيضاً بعدما يكون قد بين الهدى، عندما يقول: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ أيضاً أن يقعوا في الضلال، ويضلهم. يعمل لهم أيضاً أي شيء ممكن حتى لا يضلهم، إذا لم يرضوا أن يقبلوا أضلهم.

ثم تقول لي: (فكيف سيعذبهم) وقد حكم عليهم بالعذاب من قبل؟! ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ نقضهم ميثاقهم. وكلمة (ميثاق) ليس معناها عهداً واحداً، أو يميناً واحداً. ما عهد به إليهم، تعوُّذوا على نقض كل ما عهد الله به إليهم، كل ما عاهدوا الله عليه ما وفوا. ألم يصبحو هنا مستحقين للعذاب عند من يريد أن يجعل قضية العذاب مقياساً؟ مستحقين للعذاب.

عندما يقول: يضل الله الفاسقين، فسقوا فأضلهم، لم يهتدوا فأضلهم. إذا أنت منشغل بـ(جهنم أو ما جهنم) عندما يقول لك: فسقوا، ألا يعني أنهم قد أصبحوا مستحقين لجهنم؟ هل ما زال هناك شيء جديد من بعد؟ عندما يقول لك: لم يهتدوا ألم يصبحو مستحقين للنار؟

ثم هذه الانطلاقة - مثلما قلنا أكثر من مرة - تقوم على أساس فهم كلمة (ضلال) أنها تعني: المعصية! هؤلاء الذين جعل قلوبهم قاسية يصبحون في ضلال، الضلال بمعناه الواسع في كل حياتهم هذه، وضلال في نفوسهم هم، تقسو قلوبهم، يكونون جريئين على الباطل، جريئين على الفساد. مثل اليهود. وأشباه اليهود كثير. لم يعد يبالي، أي: لا تتصور أن الباري يأتي إلى عند الواحد وهو ما زال نظيفاً فيضله، هذه لا تحصل نهائياً. ومن يتحدث عنهم بأنه هو يضلهم هم النوعية التي يقدّم إليهم الهدى إلى بين أيديهم ثم لا يقبلونه. هؤلاء يضلهم. والشيطان أيضاً يشتغل من هناك، في جوانب من عنده، الطرق الأخرى، جانب الإضلال. لكن الشيطان ينطلق انطلاقة "من على شق".^(١)

الباري ليس معناه أن تحسب كل ضلال في الدنيا إليه هو، بل الضلال الذي يقول عنه إنه هو يضل، يُبَيِّنُ لك في القرآن بأنه يُضِلُّ نوعية من الناس هم الذين يُقدِّم الهدى إلى بين أيديهم ثم لا يستجيبون، لا يقبلون. فهؤلاء هم محط أن يضلهم، يجعل قلوبهم قاسية، يلعنهم، يقيض شيطاناً لهم مثلما قال هنا: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ هو انصرف هو، وعشي بصره عن أن يرى ذكر الرحمن الذي هو القرآن الكريم ﴿تَقْيِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ (الزخرف: ٣٦) هي النوعية هذه.

فعندما جاءت استشكلات هو يتصور وكأن الباري يأتي إلى عند الواحد وهو ما زال نظيفاً، وليس عنده أي خلل، ويطبّع على قلبه، أو يقيض له شيطاناً، أو يضلّه، أو يجعل قلبه قاسياً! لا، لا، هذه لا تحصل من جانب الله أبداً إلا لمن كان من عنده أسباب مثل هذه.

وهذه عند الإمام القاسم عليه السلام من الأشياء التي يعتبرها - ولهذا تراه هنا يقرأ الآيات بكل صراحة. هل هو يعلق عليها؟ عنده حل لهذه الإشكالية هناك، بل قال في واحدة من عباراته - بأنه عقوبة لهم؛ بعد أن يقدّم لك الهدى على أرقى مستوى، تفصيل، تبين، نور، شفاء، ثم لا ترضى أن تقبل، قال: يجعل لك عقوبة لك أن يضلّك، يقسو قلبك، يأتي شيطان معك، ثم تتخبط مثلما قال هنا: خبط عشواء.

إذاً نتعامل مع هذه الآيات من هذا المنطلق، لا تنظر إليها بنظرة (المجبرة) ولا بنظرة (المعتزلة) تذكّر بأنها قضية خطيرة؛ ولهذا المؤمنون الله يحكي عنهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ (آل عمران: ٨) يقول لك: الهدى هو من عنده، ثم الرعاية بأن تظل على الهدى وتبقى على الهدى، تحتاج إلى رعايته. تخرج دائماً الهدى من الله، وتتخوف على الهدى الذي عندك ألا تكون عرضة لأن يفلت من بين يديك، تطلب من الله بأن يركاك، يحفظك ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. ألم يأت بها في إطار الحديث عن مؤمنين نوعية راقية؟ لو أنه دعاء غلط لما جعله من أقوال عباد مؤمنين، ويصفهم بالإيمان بدرجة عالية.

(١) من على شق: من اللهجة العامية، وتعني: أن الشيطان يستهدف الجميع ولا يستثنى أحداً.

وهذا - لاحظ هذا - هو العلاج للإشكالية التي تراها عند الناس (البهطلة) قل له: "بَطْلٌ لا تتبهل" (١) ليست قضية سهلة، ففتح من أول ما تسمع هدى لكل كلمة هدى، لكل موقف هدى، لكل بصيص نور هدى، يجب أن يكون له قيمة عندك، أو تأكد أن مصيرك سيكون كهؤلاء، وعرض أمثلة حتى من داخل بني إسرائيل، الذين كان قد اصطفاهم. عندما كانت تأتي آيات من جانبه ولا يتأثرون بها تقسو قلوبهم، وهنا يتحدث عنهم، عن بني إسرائيل: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

لا تظن أنك غير محتاج إلى الله؛ لأن الإنسان يحتاج إلى الله، إلى رعاية الله الدائمة، وكل المسائل هي تحتاج إلى تسليم من جانبك أنت، يجب أن تكون مُفْتِحاً لأذنانك بشكل واع للهدى. ثم وأنت تهتدي انطلق بجديّة، ويكون عندك أيضاً في نفس الوقت التفاتة إلى الله بأنه يراك، يحميك، يحفظك، لا تقع في باطل، لا يزيغ قلبك، لا... إلخ. تحتاج إلى رعاية الله دائماً.

(وفيه وفي خلالة، وما من الله به من إنزاله، ما يقول تباركت أسماؤه لمن نزل به عليهم كلهم جميعاً معاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١)) يقول المفسرون جميعاً: أي: لكان هذا، هنا يتحدث عن شيء له أثر خارق، أثر بالشكل الذي يكون أكبر مما تتصور. هناك تحدث عن أنه لو أنزل على جبل لتصدع. تصور - مثلاً - شيئاً تُسَيِّر به الجبال، أو تقطع به الأرض، أو يُكَلِّم به الموتى، ألسنت تتصور تأثيرات لشيء من هذا النوع الخارق؟ يقول لك: لكان هذا، أي: هذا هو على أرقى ما يمكن من التأثير، وكله يقول لك في الأخير: ليس هناك تقصير من هذا الجانب على الإطلاق، الخل عندك، ولتعرف أيضاً بأنك تكون مستحقاً فعلاً إذا لم تقبل هذا الهدى أن يطبع على قلبك، أن يعمي بصرك، أن يضلك، أن يجعل قلبك قاسياً، أن يقيض لك شيطاناً "وما يلاّ جو عاذا منزل منزل إلى جهنم" (٢).

يتحدث عن تأثير القرآن ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ أتصور قرآناً تُسَيِّر به الجبال، يعني تأثيراً كبيراً أو كذا، لكان هذا، أي: ليس هناك أرقى من هذا على الإطلاق بالنسبة للبشر؛ ولهذا يقول الإمام القاسم: وحتى الملائكة هناك هم يهتدون بالقرآن.

(أولم يسمع من آمن بالله سبحانه في آيات نزلها من الكتاب: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيُنْذَرُوا أُولُوا الْأَنْبَاءِ﴾ (إبراهيم: ٥٢)) هنا يتحدث عن تأثير القرآن، وعن المجالات التي يتناولها القرآن، هي كل المجالات، وهذه هي من المجالات الرئيسية: ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ هذه هي عبارة عامة: بلاغ. ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ عبارة عامة، أي: مجالات واسعة. ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فيما يتعلق بمعرفة الله ومعرفة الله واسعة جداً، والهداية التي يهدي إليها القرآن في مجال معرفته واسعة جداً. والتذكّر ﴿وَلِيُنْذَرُوا أُولُوا الْأَنْبَاءِ﴾. هنا أربعة مجالات رئيسية تحدث عنها هي ماذا؟ من المجالات التي يهدي إليها القرآن بشكل واسع. ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن.

(وفي مثل ذلك بعينه، وفيما أنزل من تبينه، ما يقول سبحانه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨)) فعندما يرجع الإنسان إلى هذه الصفات المهمة وهذا الشرح المهم عن القرآن الكريم، يجد أن القرآن هو الذي يجب أن تتحرك على أساسه، ونهدي به، ونهتدي به، ونرشد به، ونتشقق به. وهل بالإمكان أن تفترض أنه لا يزال هناك شيء أكمل منه؟ لا، لا يكون ذلك ممكناً. إذا كان يوجد شيء هناك في مسيرة الحياة في متغيراتها، هو مصدر هداية فلن تهتدي به إلا من خلال رؤية قرآنية، فيكون امتداداً للهدى القرآني، امتداداً للهدى الله في القرآن الكريم.

عندما يقول: ﴿سُورِهِمْ آيَاتٍ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (فصت: ٥٣) أليس هو هنا يتحدث بأن هناك متغيرات كثيرة ستكون عبارة عن شواهد على حق، عبارة عن شواهد على مصير مظلّم لأمة كانت على نحو مُعَيَّن؟ فالقرآن الكريم هو يهدي بشكل واسع إلى ما يُعتبر امتداداً لهدايته إلى الآيات الكونية، هو يهدي إلى الآيات الكونية.

(١) بَطْلٌ: من اللهجة العامية، وتعني هنا: اترك.

(٢) هذه العبارة من اللهجة العامية، وتعني: الاستمرار من أسوأ إلى الأسوأ حتى يصل إلى جهنم.

إذا لم يكن هناك اهتداء بالقرآن تأتي المتغيرات من حولك، والآيات من حولك، ولا تنتبه، لا تراها، لا تعتبر بها، بل يحصل لها فهم بالقلوب. مثل النوع الأول الذي حكاه عندما يكون الإنسان قد صار يمشي بالعكوس. تأتي متغيرات رهيبية. نحن نقول: المتغيرات هذه التي تحصل في السنين هذه المتأخرة، أي: أحداث نحن نشاهدها، ونشاهد أهلها، ونشاهد الأطراف فيها، أن هذه فيها أدلة واسعة جداً جداً على قضايا كثيرة جداً، فيما يتعلق بالاعتقادات، فيما يتعلق بالمفاهيم، فيما يتعلق بالرؤى، هي مدرسة، لكن إذا كنت تنظر إليها من خلال النظرة القرآنية ستعرف ولا فستقول في الأخير: (دنيا، هذا لطم هذا فقط) وتغمض عينيك مثل الغمضين، "وهذا حال الدنيا هكذا الناس يتلاكمون فيها، وفكة من يوم القيامة"^(١) لن يهتدي بوحدة من هذه.

هنا يتحدث القرآن الكريم بأنه أحياناً يترك من آثار الأمم الماضية، يحافظ هو على آثار معينة من آثارهم؛ لتكون آية ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٢٥) يتحدث في سورة (العنكبوت) أذكر آية أو آيتين تتحدث بأنه يحافظ حتى على آثار معينة؛ لتكون آية، يحافظ على بقايا من بيوتهم، على بقايا من معالم من عندهم.^(٢)

هكذا؛ لأن هذه الآيات الكونية كثيرة جداً جداً فهي مدرسة واسعة، لكن مفتاحها من خلال القرآن، فالقرآن هو سيعلمك كيف تهتدي بها، والقرآن هو سيشرح لك كيف كان مصير أهلها، ولماذا صاروا إلى هذه العاقبة السيئة، القرآن الكريم.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقولون: (فإن قلت) تحصل تفسيرات من هذه، وهذه إشكالية عندما يقول لك: بيان، وهدى، وموعظة للمتقين (بما أنهم متقون فماذا بقي من فائدة؟) هذا تساؤل يطرحه (الزمخشري) من عند أول سورة (البقرة) ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) قال: (مشكلة هذه بما أنهم متقون فكيف تقول لي هدى...؟) ومن هذه النظرات التي تكون محدودة جداً؛ لأن كلمة ﴿هُدًى﴾ هي عنده قاصرة، والتقوى تعني عنده مجرد أداء العبادات هذه.

[المتقون هم من سيهتدون بهذا القرآن ويتحركون مع هدايه بكل جدية] بدون إهمال، بدون تقصير، بدون بيقظة. المتقون عمليون، عمليون دائماً، متحركون بحركة الحياة وفي مجالات الحياة كلها، وعندما تتحرك تتلمس بأنك بحاجة دائماً إلى هدى الله، هدى متجدد، هدى؛ ولهذا نقول: بأن القرآن حتى فهمه لا تتصور أن بالإمكان أن تجلس في زاوية وتفسره وانتهى الموضوع. لا، بالحركة في الحياة.

وسورة (الفاتحة) تشهد بهذا، كل يوم نقول: ﴿اهْدِنَا﴾ ﴿اهْدِنَا﴾ أليست إنشاء؟ لأن الإنسان في مسيرته في الحياة يحتاج إلى هداية الله الدائمة. أنت أمام المتغيرات هذه، الفتن، المواقف، الأشياء الكثيرة تحتاج إلى هدى الله فيها. لاحظ الآن ألسنا بحاجة ماسة إلى هدى الله؟ إذا أنت تتحرك في مجال فستلمس بأنك بحاجة إلى هداية من الله داخل هذا المجال، لكنهم يتصورون الهدى أن معناه مثلاً التعريف بأن الله واحد لا شريك له، وتعليم العبادات، وقد وحدوا الله، وقد أدوا العبادات، إذاً قد أصبحوا متقين فلماذا يقول: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟!

هو يقول: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأن المتقين هم من سيهتدون به، المتقون هم أصحاب حركة دائمة، ونفوس يقظة دائماً، نفوس متحركة دائماً دائماً في الحياة كلها. فالقرآن هو حركة دائمة وموعظة دائمة كل يوم كل يوم. وهذا يأتي ليقول: (فإن قلت).

لا توجد إشكالية عندما يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ للناس لا بأس، لم يصبحوا متقين لا توجد مشكلة، لكن المشكلة عندما يقول: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عندما تقول: (فما قيمة هذا؟) قال: (لأن معنى هذا أنهم قد يكونون هم أكثر استفادة أو تأثراً به) أكثر هكذا (لأنهم سيستفيدون أيضاً مثلما قال هناك: ﴿سَيَلْبُغُ مَنْ يَخْشَى﴾ (الأعلى: ١٠) المتقون هم يهتدون به فعلاً باستمرار، ويتعظون به فعلاً باستمرار، ويعطيهم هدى، ويعطيهم موعظة يومياً يومياً.

(١) فكة: من اللهجة العامية، وتعني التسويف.

(٢) ﴿وَعَادًا وَكُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاجِدِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨).

القرآن عندما يتحدث عن المتقين في موضوع (الاهتداء) هو يتحدث عن المتقين في جوانب أخرى، تجده يقدمهم أناساً عمليين، حركيين، أي: أن التقوى هي حالة: تخشى، تخاف، تخاف من الله، تخشاه؛ فأنت تحرص على أن تقى نفسك من كل ما يمكن أن يجلب عليك سخطه، أو غضبه، أو مقتته، أو عقوبته في الدنيا وفي الآخرة. فأنت تنطلق في كل المجالات سواءً يكون واجباً أو مندوباً أو كيفما كان أمره، تتحرك، فأنت هنا تهتدي به باستمرار. والاهتداء هنا ليس معناه يدرّسني اليوم شروط الوضوء، وغداً يدرّسني شروط الوضوء، وبعد غدٍ شروط الوضوء! ليست هذه، هو يدلّك على سعة مجالات الحياة، سعة مجالات الدين التي تحتاجها أنت، سعة مجال حركتك، سعة مجال حركة المتقين في هذه الدنيا، أي: افترض مثلاً المتقين يرون أن من واجبهم أن يجاهدوا في سبيل الله، المتقين يرون أنه لا بد أن يكونوا مجاهدين في سبيل الله، يكافحون أعداء الله، يزيحون أعداء الله، يعملون على إظهار دين الله في الأرض كلها. هذا مشروع كبير، أليس مشروعاً كبيراً للمتقين؟ أليس مشروعاً يستغرق عمر أي واحد من المتقين وزيادة؟ إذاً أليس مشروعاً سيكون ذهنه دائماً متحركاً فيه، تخطيطه تدبيره، طلعة تزلّة، وأشياء من هذه؟ ثم يرى في هذا الموضوع كم من الوسائل يحتاج إلى استخدامها: زراعة، صناعة، تجارة، تثقيف، وسائل متعددة، كم يحتاج إلى استخدامها؟! سترى أمامه أعمالاً كثيرة جداً جداً، مشروع كبير، هذا هو مشروع متقين، أليس مشروعاً من مشاريع المتقين قدّمه القرآن؟

إذاً هو يحتاج إلى هداية الله الدائمة في عمله هذا الواسع، يحتاج أولاً إلى هداية الله في كيف يكون جديراً بأن يكون ممن يتحرك في هذا المشروع أولاً، وهذا موضوع واسع جداً، هذا هو الموضوع الذي كل حديثنا حوله، هل نحن الآن في إيطاليا، أو أين نحن؟ ألسنا في اليمن ما زلنا في بيوتنا؟ لكن ترى أمامك موضوعاً واسعاً جداً جداً هو موضوع كيف يكون الناس، وكيف نكون بشكل نصّلح لأن نكون مجاهدين في سبيل الله، وأن يكون معنا. ثم ترى كم أمامك من مفاهيم مغلوبة، نظرات مغلوبة، كم أمامك من إشكاليات! كم أمامك من وسائل نحتاج إلى أن نربّي أنفسنا عليها، ونربّي أولادنا، ميدان واسع جداً. هنا في كل قضية، في كل مجال، نحتاج إلى هداية الله فيه؛ فتكون ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ التي نقولها كل يوم ﴿اهْدِنَا﴾، ﴿اهْدِنَا﴾ توحى لك فعلاً أن الحركة في الحياة هي بهذا الشكل، الحركة المتجددة الدائمة هي نحتاج إلى هداية متجددة دائمة.

(...)

الآن يوجد خلط، الذين يسمونهم (عبّاداً) هم المتقون، والمتقون هم هؤلاء! هذا هو خلط في المفهوم. أي: يوجد الآن كثير من العبّاد تقطع على أساس القرآن الكريم أنهم ليسوا متقين، ونحن قلنا منذ فترة: إذا كنت تتأمل القرآن تجد أننا عندما نسمي بعضنا بعضاً أولياء الله ليس صحيحاً، لم نصل بعد إلى درجة أولياء الله. متقين ليس صحيحاً.

انظر في القرآن الكريم كيف هم المتقون؟ والتقوى من أين مبعثها؟ من أين منطلقها؟ حالة من اليقظة، حالة من الشعور بالمسؤولية. فالذي يحاول بطريقة التبريرات يظل يدافع: لا يريد، لا يريد، لا يريد؛ هذا ليس لديه روح تقوى، ليس متقياً. يتحدث الله عن المتقين في آيات أخرى: سباقين للخيرات، يسارعون.^(١) ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لاحظ من موضوع معرفة الله وحدها. لَمَّا رَأَى هَذَا أَنَّهُ (تلك معرفة الله قد كملناها)^(٢) قد قرأنا الكتاب الفلاني وانتهى الموضوع، ماذا بقي فيها من هدى لمثلي وقد صرت عارفاً بما يتعلق بمعرفة الله؟! طيّب، معرفة الله واسعة جداً جداً، نحتاج إلى هداية الله فيها بشكل واسع جداً.

(ويقول سبحانه: ﴿وَوَرَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)) هل ما زال لدينا أشياء لم يتناولها القرآن؟ إذاً عندما يقول لك - لاحظ من العجيب الذي يقول لك -: (إن القرآن لا يكفي)! عندما تتأمل تجد مفهومه للعلم محدوداً جداً، العلم قليل، العلم هذه المنهجية التي نقرأها، الكتب التي نقرأها فيما تعطيه من علم، فيما تتناوله من مجالات، من أشياء. لأن سعة المجالات ليست بسعة الكتب. ترى رصّات من الكتب تجد مجالاتها، محتواها، الأشياء التي تتناولها - أنت تعتبرها تبياناً لها - محدودة جداً.

مع هذا نقول: (بأن القرآن لا يكفي)! أول شيء يجب أن تفهم أن الأشياء التي بين يديك تتناولها هي محدودة

(١) ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١).

(٢) كَمَلْنَاهَا: انتهينا منها.

جداً وبالغلط تتناولها بشكل مغلوط، لا، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ لا تتصور أن لديك كل شيء وبين يديك المجالات كلها، ويبدو أن القرآن لم يتناول إلا سبعين في المائة منها مثلاً، لا، بل يجب أن تفهم أن القرآن الكريم لا يزال تبياناً لمجالات كثيرة جداً، وأشياء هي غير معروفة لديك، وليس الذي بين يديك يتناولها ولا هو حولها، وعندك أن كل الأشياء هي هذه! لكن لا، أول جهل أنك تجهل بأنه لا يزال هناك مساحة واسعة من الأشياء هي محط تبيان من جانب القرآن الكريم ليست في ذهنيّتك، عندك العلم هو هذا (الأخ العلامة) هو هذا، وهي ليست عندهم سوى مجالات محدودة فقط، والأشياء لديهم محدودة بشكل نقطة واحدة.

مثلاً كل ما نقرؤه حول موضوع معرفة الله، أليست هكذا؟ تجد ما يتناول الموضوع من معرفة الله، من خلال القرآن الكريم أشياء محدودة، تجد أنه ليس محسباً داخلها معرفة ماذا يعني أن الله ملك؟ ماذا يعني أن الله إله؟ هذه ليست ضمنها! فقط معرفة أنه لا يرى، ليس كمثله شيء، لا يجبر العبد على معصية، وأن الله خلق الإنسان مختاراً، وأن من أدخله النار فلن يخرج منه، وصادق الوعد والوعيد، أي: إذا وعد بجهنم صدق، وإذا وعد بالجنة صدق. نقاط، أليست نقاطاً محدودة جداً؟

تجد معرفة الله في القرآن الكريم واسعة جداً جداً، أي: هناك مجالات ليست مصنفة عندك ضمن معرفة الله في تلك الأشياء التي تعتبرها علم معرفة الله، وأول ما يجب على العبد أن يعملها، وموضوعها أشرف المواضيع، وأشياء من هذه، لا، هذه المجال فيها محدود جداً، وقاصر جداً، ومسائل محدودة جداً. باقي، القرآن يتناول أشياء كثيرة جداً في موضوع معرفة الله، وهكذا نقيس عليها أشياء أخرى. ثم يظهر لك أن ما لدينا نحن نعتبره أشياء ونرى أنها كل الأشياء، وليست أشياء، ثم تأتي أشياء في الحياة، في حركة الحياة، وليس لدينا حل لها. مثلما هو الآن حاصل، أليس الناس كلهم الآن عاجزين، وأنت تلمس أن المسألة عميت عليهم في مواجهة أمريكا وإسرائيل وهذا العدو الذي يتحرك؟ (خلاص، علّمانا أعلنوا بياناً: ونحن عاجزون عن عمل ما يجب علينا) إذاً هذا يعني أنه بقي أشياء كثيرة جداً، ملايين الأشياء لا يدري بها، القرآن قد تناولها وقال: ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ لماذا ترى نفسك عاجزاً، وترى الدنيا مقفلة، ترى الأشياء لم نعد نعرف من أين تأتي لها؟ بعضهم يقول: "التطّمت هذه الدنيا، ولا عاد عرفنا كيف نعمل" (١) أليس هكذا؟

إذاً معنى هذا: أن هناك أشياء كثيرة جداً أنت لا تعرفها، أو تحاول ألا تعرفها، القرآن الكريم هو تبيان كامل لها، أو أن هذه ليست أشياء؟ أليست تعتبر أشياء؟ أشياء من كبار الأشياء وليس فقط من الغوامض، أي: قل له: الله يقول في القرآن الكريم: ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ ونحن معنا الآن أشياء واضحة، معنا أمريكا وإسرائيل متوجهون إلى العالم الإسلامي لاحتلاله، وطمس معالمه الدّينية، هويته الدّينية، تغيير ثقافته، تغيير أنظمتها، تغيير مناهجه التعليمية، السيطرة على ثرواته. أليست هذه أشياء؟ أشياء جبال، ليست من الغوامض.

قل لي فكرة مواجهة هذه، هل هي أشياء؟ أو تحتاج إلى أشياء؟ إذاً لماذا القضية عندك مطموسة؟! لأن هذه الأشياء كلها أنت لا تحاول أن تنطلق في الشيء الذي قد ترى من خلاله تبيانها. إذاً هي أشياء بالتأكيد القرآن مما بيّن كيف يكون الموقف معها، المواقف، تفاصيل المواقف، تفريعات المواقف، النظرة إليها. هذه أشياء يتناولها بشكل كامل. أليست هذه أشياء؟ شخص لك هؤلاء الأعداء: ماذا يريدون، وماذا يمكن أن يعملوا، وماذا يهدفون إليه، وكيف سيكون مصير الناس، أليست هذه واحدة من الأشياء؟

يبيّن لك كيف يجب أن تكون في مواجهتهم. أليست هذه أشياء من الجانب الآخر؟ أي: يشتغل في الموضوعين، يبيّن بياناً لكل شيء ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ وضع لك العدو إلى درجة أن يقول لك حتى بطبيعته: إنه في الأخير لو تدخل معه في مواجهة هو من النوع الذي يهزم ويذل ﴿ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ﴾ ألم يقل هكذا؟ ﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلِكُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ﴾ (آل عمران: ١١١) أليس هنا يبيّن أشياء؟ يبيّن نفسية العدو، واقع العدو، قدرات العدو، أساليبه، نظرته إليك، يبيّن حتى نظرته إليك، حتى مشاعره نحوك ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٠٥) ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا السَّبِيلَ﴾ (النساء: ٤٤) أليس هو هنا يبيّن؟

(...)

هذه الأشياء نصّر عليها كلها! ألسنا نصفر عليها كلها؟ إذاً معنى هذا أنه يوجد خلل في ثقافتنا تجعل معلوماتنا محدودة جداً، ونظرتنا إلى الدّين محدودة جداً، وإلى المجالات التي يجب أن يتناولها الدّين محدودة جداً، إنما في الأخير نكبر (علامة) للمبالغة، عالم، ثم نسميه (علامة) إنما مبالغة لفظية من عندنا، أما مبالغة حقيقية، معرفة واسعة فلا توجد، لا توجد. لو كان يستحق اسم علامة لكان فاهماً لـ ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في الأشياء الكبيرة التي يراها أمامه، ليس أن يأتي يعلن لي في بيان ويعلن في الميكرفون: (ونحن عاجزون عن عمل ما يجب علينا). هل هذا ﴿تَبَيَّنَا﴾ أو منطق قرآن؟ لأن (عاجزون) أليس معناها أشياء؟ أشياء كثيرة. رأى أشياء لم تتضح له، ورأى أشياء أخرى لم يعرف أنها قد تكون معالجات ووسيلة لصد العدو هذا، في الأخير أعلن تبيناً لماذا؟ للعجز (ونحن عاجزون)!

﴿وَتَرْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ هل الأشياء التي في حياة النبي فقط؟ لا، بل لكل شيء في مسيرة الحياة. عندما يقول لك مثلاً: (لا بأس ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ لكن ما وجدناه ذكر الصلاة بالتفصيل كم ركعاتها!) أليس قد يقول هكذا؟ نقول له: اترك القضية على جنب، تعال معي ننظر إلى الانطلاقة الأخرى التي لم تقم على أساس هدي القرآن. أليس رسول الله ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم؟ تعال قل لي: كيف قدّم المسلمون هذه الصلاة يوم انطلقوا هم؟ ألم يقدموها لنا متنوعة؟ ناس يرفعون، وناس لا يرفعون، وناس يضمون فوق السرة، وناس يضمون على الصدر، وناس يعملون كذا، وناس يعملون كذا، و... أليست متنوعة؟ حتى الأذان منوع، ألم يصبح التطبيق الذي عمله الرسول ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم ضائعاً؟ أصبح ضائعاً؟ فعلاً ضاع من خلال ما بين أيدي المسلمين، وكل فئة قدّمت نموذجاً معيّناً، أليس معنى هذا أنه في المجموع جهل التطبيق الحقيقي، الممارسة الحقيقية للدّين الذي أداها بما فيها أذانه؟ الأذان نفسه ناس يقول: الصلاة خير من النوم، وناس يكبر أربع مرات، وناس يقولون: حي على خير العمل، وكل منهم يؤذن.

لكن هداية القرآن هي كانت ولا تزال بالشكل الذي لا يصبح شيء من هذا التطبيق محط إشكال ولا غائب، لو تمسكوا بالإمام علي عليه السلام مثلاً، وسارت الأمة بمسيرة الإمام علي، أليس الإمام علي يعرف كيف كان يصلي رسول الله ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم؟ أليس سيكون أداء الإمام علي لصلاته، وصيامه، وحجه، وكل عباداته، وكل مواقفه، هو نفس التطبيق الذي قام به الرسول ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم؟ إذاً أليس موقف الإمام علي سيكون هو تبيناً واضحاً للتطبيق؟ فتكون الأمة تسير على طريقة واحدة، وليس هناك إشكالية ولا خبصة^(١) ومن التبيين أنه يهدي إلى العلم الذي هو أعلم بالمسيرة التي كان عليها النبي ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم فتسير الأمة على منهج واحد، وطريقة واحدة، وليس هناك اختلافات، ولا هناك شيء.

وهي نفس الصلاة، ونفس الحج، ونفس العبادات، ونفس المواقف، أليست الصورة ستكون أبين من الصورة التي نحن عليها الآن؟ الصورة عن الدّين يوم طبّقه رسول الله ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم أليست الصورة ستكون عن هذا الطريق أبين وأوضح من الصورة التي عليها المسلمون الآن؟ ناس يؤذنون كذا، وناس يصلون كذا، وناس يصومون إلى وقت كذا ويبدأ من كذا، والحج... إلخ. أليس هناك اختلافات في كل قضية؟ أي: المسألة من حيث هي ليست بيّنة! أليس معناها هكذا؟ وإذا كان الأذان الذي كان يؤذن به كل يوم عدة مرات جهراً لم يعد بيّناً عند المسلمين، ناس يقول: الله أكبر أربع مرات، وناس يحذفون حي على خير العمل، وناس يأتي بالتثويب بدلاً، وناس يقولون: حي على خير العمل! وهو أذان واحد.

أي: أن من التبيين القرآني ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله؛ فيكونون هم أنفسهم وسيلة تبين، ولن يكونوا عبارة عن رقم ثانٍ، نحن نقول لكم من أمس: ليس هناك رقم ثانٍ، بل تبين في إطار القرآن الكريم. عندما يقول لك: لكن كم عدد ركعات كذا؟ قل: يا أخي القرآن في تبينه يرشد إلى علي عليه السلام وعلي سيبين لك الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم وانتهى الموضوع. أليس هذا بياناً؟ لكن لم نسر على هذا البيان، ما الذي حصل؟ ألم يحصل اختلاف، وحصل تضيق للتطبيق؟ ضاع التطبيق الذي قام به رسول الله ﷺ (الله ﷻ) رحمه ﷻ صلى الله عليه وسلم في

حياته في وسط هذه الفوضى.

(ويقول سبحانه: ﴿وَوَرَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)) المسلمين أنفسهم لله، المسلمين أنفسهم لله، بشرى، لاحظ كلمة ﴿بُشْرَى﴾ هي تتنافى مع مسألة النظرة المعتمدة إلى الذين. بشرى في الحياة نفسها، والقرآن الكريم ذكر أمثلة لهذه البشرية. عندما ينطلق الناس في حركة قرآنية وعلى هدي الله يجدون أشياء كثيرة تطمئنهم جداً، ويرتاحون لها جداً، بشارات بنجاحات في أعمالهم، بشارات بأن مواقفهم صحيحة، بأن حركتهم ثابتة، بشارات بأن الله معهم، مثلما ذكر بالمطر في بدر، مثلما ذكر بالرياح في الأحزاب، مثلما ذكر بالملائكة في بدر، مثلما ذكر بكذا... إلخ، أليست بشرى من هذه؟ بشرى هنا في الدنيا، وتبشير بالعاقبة، بالجزاء العظيم في الآخرة بالجنة ﴿لَهُمْ النَّبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٤). لكن الذي لا يسير على هداه يكون "كل مرة والتطمت عليه، كل مرة وعرف أنه تورط، أنه قلب على نفسه، أنه غلط" (١) وهكذا، فتكون نتيجة أموره في الأخير شؤماً، تسيئته، تسوء وجهه، مقابل البشرية، هنا هو يقول لك بشرى.

(فجعله سبحانه تبياناً تبياناً، لاحظ كلمة (تبياناً) هي أيضاً أبلغ من كلمة (بيان) تبيان: بيان واضح، القرآن استخدم أرقى وآخر ما يمكن أن تملكه من تعبير عن الوضوح، النور، الهدى، الشفاء، ليس حتى قضية يقول لك: الهدى فيه إنما فقط يأتي أحد يكتشف أنه هدى. هو يقول هو عن نفسه إنه نور، ويضرب أمثلة لهذا النور.

(فجعله سبحانه تبياناً لكل شيء) أحياناً يرجعون إلى هذه: مسألة (كل شيء) - نتيجة النظرة القاصرة - فيفسرونها مثل تفسير: ﴿وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: فسروا منطقاً عربياً هكذا أحياناً يأتي بعبارة: كل شيء، والمقصود منه الأشياء التي تناولها هو، والأشياء التي تناولها هو، أي: الأشياء التي قد فهم أن الذين تناولها، بهذه النظرة القاصرة. يقول في بلقيس عندما حكى عنها: ﴿وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٢) ليس معناها من كل شيء في السموات وفي الأرض، معناها من كل شيء من الأشياء التي عادة تكون متوفرة مع الملوك (تغدينا عند فلان، قدّم لنا من كل شيء) أليسوا يقولون هكذا؟ أسلوب: أي: من الأشياء المعروفة المعهودة أن تقدّم للضيف على طعامه في عرف البلاد الفلانية، أو في نوعية الطبخ والغذاء عندهم.

وهو يريد أن يرجع إلى القرآن بهذه! و ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من الأشياء التي تناولها، قد صارت نظرتة هو قاصرة إلى الذين، والمجالات التي يتناولها، أن معناها: كل شيء، هذه الأشياء، فقط جاء على سبيل التغليب بعبارة تشبه عبارة: ﴿وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾! لا ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يصح أن يقال له شيء، بدءاً من الله الذي معرفته رأس كل شيء، معرفة يعرفه بشكل يكون لها أثر كبير جداً، معرفة شبه كاملة. فهو ﴿تَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿هُدًى﴾، ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

طيب: كلمة ﴿شَيْءٍ﴾ حتى نعرف أنها فعلاً تتناول الأشياء هذه، نحن قلنا قبل فترة: إن الذين له علاقة - في الأخير - لدرجة أن يتحكم في تصميم بيتك، في التصميم الهندسي لعمارتك. الفارق مثلاً ما بين تصميم البيوت للسكن مثلاً في البلاد الإسلامية وفي الغرب أنت تلمس أثراً هنا للثقافة. أليست هنا تصميم البيت على أساس أن يكون فيه شقتان، شقة معزولة للنساء هناك بالمطبخ بالحمام بكل حاجاته على جنب ومدخل من هناك، وشقة هنا خاصة بالرجال ومدخل خاص؟

الغربيون لا يصممون بهذا الشكل، يصمم له بيتاً يكون واسعاً، حجرة واسعة (كتب هنا وكتب هنا) امرأة تخرج من هنا وتدخل من هنا وتطلع من هنا، وباب من يأتي يدخل منه، إذاً أليس هنا قضية الذين في الأخير يتناول حتى الإنفاق في منزلك؟ نوعيته في مرحلة معينة، كميته ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧) إذا كنت تتصور بأن القرآن مثلاً لا يُقدّم قائمة من الأغذية، هو يهديك إلى مسألة، هذه المسألة هي تحكم أن يكون واقعك على النحو الفلاني، وهو هذا الهدى، يحكم أن يكون واقعك في إنفاقك، في

(١) قَلَبَ عَلَى نَفْسِهِ: من اللهجة العامية، يقال هذه العبارة للأحمق الذي يريد أن يَنْفَع نَفْسَهُ فَيُضِرُّهَا.

تصرفاتك على النحو الفلاني، فالمؤمنون عندما يكونون متقين، يتحركون، ويهتمون، ويعرفون أن الحركة تحتاج إلى مال، سيكون هو شخصياً عندما ينفق في بيته لا يوجد عنده إسراف؛ لأنه يريد الفائض على أقل تقدير ينفق النفقة المتوسطة: لا إسراف ولا تقتير؛ لأن عنده قضية يريد أن يوفر لها، عنده عمل يتحرك فيه في سبيل الله: يوفر. هي هكذا أحياناً بهذا النوع، إذا كنت تقول ليس هناك قائمة، تقول هل هدى إلى موضوع الاختراعات هذه؟ أقول لك: نعم هدى إليها بطريقة إن لم تكن قائمة، يذكر لك كذا: اعمل، واتجه إلى كذا. الحياة هي طبعت فيها الأشياء، أشياء كثيرة من الكون، من المعادن، ولها خواصها، ولها كذا.

حاجيات الإنسان واسعة من جانب، المسؤولية التي ربطك القرآن بها تفرض عليك أن تتحرك في كل هذه المجالات، أن تصنع، أن تزرع، أن تعلم، أن يكون لديك خبراء، أن يكون لديك مهندسون، أن تهتم ببناء أمة متكاملة. أليس القرآن هدى إلى هذه؟ يكون عندك خبراء يشتغلون في كل المجالات ويبدعون، ومعاهد، معاهد بحث دراسات، تمويل للبحث من أجل ماذا؟ أنك تريد ألا يسبقك الآخرون إلى شيء، تكون أنت من تملك الخبرة، من تملك الصناعة، من تملك الاكتفاء في زراعة في غيرها. وتجد في كل واحدة من هذه تلقى الله فيها، عندما يتحركون في أي مجال من المجالات يتلمس التأييد الإلهي، يتلمس البركة الإلهية، يتلمس البشري التي قال هنا: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتلمس أيضاً مظاهر معرفة الله، مظاهر قدرته، مظاهر رحمته، مظاهر رعايته، مظاهر تدبيره، مظاهر... الخ.

فالدِّين هو يملأ الحياة، يملأ الحياة بأكملها، والتبيين لا يعني أن يعمل لك قائمة تفصيلية بأسماء الأشياء بالتحديد، بل هو يبين لك كيف تكون، يهديك إلى كيف تكون هذه الأمة، ماذا ينبغي أن تعمل، ومعلوم بأنه حتى في الصناعات ألا يكون فيها ما تسمى قواعد؟ فهو يهدي إلى أبواب من المعرفة تهدي إلى معارف من هذا النوع، تهدي إلى بناء للأمة في كل المجالات، هذا هو التبيين.

(تبييناً وحجة على من فسق وكفر، وهدى ورحمة وموعظة لمن اتقى وشكر).

(وفيه وفي رحمة الله به وشفائه، وما جعل فيه لكل ذي حكم من أكفائه، ما يقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (المنكوت: ٥١) بعدما طلبوا آيات، لماذا لا يأتي بآيات؟! كأنهم يريدون آيات من تلك النوعية التي كانت تأتي في الأمم الماضية بأن ينتق جبل فوقهم ﴿أَوْ تَكُونَ لَكُم جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فُجُيْرًا * أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِثٌ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٩١، ٩٢) يريدون من هذه الآيات، هنا يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (المنكوت: ٥١) هذه الآية من أهم الآيات التي تكشف لك عظمة القرآن الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (المنكوت: ٥١) هنا يخاطب من؟ يخاطب المؤمنين ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ نحن أصبحنا غير مؤمنين بأن القرآن يكفي! السائد في ثقافتنا يقول لك: (القرآن فقط؟! ماذا بقي لنا؟!) هنا يقول لك: في مجال الهدى القرآن فيه الكفاية وفوق الكفاية.

في مجالات تقنين العلوم الأخرى يمكن أن يكون عندك مجلدات واسعة لكن في العلوم الإيجابية، في العلوم التي هي تتعلق بمهامك أنت كإنسان في دورك في الحياة، في مختلف العلوم الأخرى. لا أن يكون معك دروس (أصول فقه) وفقه ملئ بالأقوال: قال فلان، قال فلان، وأشياء ليست إلا ضلالاً، وضلالاً رهيباً جداً، ورحمة أقوال تضبيع وقت وتضبيع أموال. بل المسألة بأكملها ليست على هذا الأساس لم يقدم الدين على أساس أنه قال فلان، وقال فلان، ثم ننظر من هو الذي قوله صحيح، فيترجح لي هذا، أو يترجح لي هذا بدءاً من معرفة الله إلى آخر مسألة! كلها هكذا: قال فلان، قال فلان، وقالت (المعتزلة) وقال (النظام) وقال... هذا كله في (علم الكلام)، (أصول الفقه) الذي قدّم كآلية من أجل أن تضبط المسألة نفس الشيء مختلفين فيه: قال، وقال، وقال، والمختار كذا، وهكذا. فالقرآن يهدي إلى ما لا يحتاج الناس إليه في هذه الضجة بأكملها؛ لأنها من المهام التي تختص بالله.

أيضاً موضوع (أصول الفقه) موضوع أشياء كثيرة من هذه ليست مرتبطة بمهمة (هداية أو ما هداية)؟ هذه مهمة القرآن الكريم، والقرآن الكريم ركّز على جانب واحد ربط به، هو جانب اللغة العربية، وأن اللغة العربية هذه كان يراد لها أن تكون هي اللغة العالمية هي، هي اللغة العالمية، ربطت بالقرآن الكريم؛ ولأنها فعلاً بشهادة القرآن الكريم هي أرقى لغة لدى البشر، وأنها كان يراد لها أن تكون وسيلة من وسائل جمع البشرية ووحدة كلمتهم؛ لأن اللغة العالمية مهمة أن تكون معروفة، وماذا؟ ووسيلة أيضاً من وسائل جمع كلمة الأمة.

فَرُبَطَتِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وتحدث القرآن الكريم بأن القرآن عربي بلسان عربي وأشياء من هذه، إذاً اهتم باللغة العربية اهتم بها بشكل كبير، فنون أخرى لست بحاجة إليها نهائياً مثل: موضوع (أصول الفقه) موضوع (علم الكلام) كتب (ترغيب وترهيب) لست بحاجة إليها، معك ثلثا الفقه لست بحاجة إليه، بقية الفقه: الفقه التطبيقي المتداول المتوارث هو مدون، تسير خلفهم، القضية هي بهذا الشكل. وإلا فالقرآن في كل المجالات التثقيفية الواسعة القرآن يتكفل بها.

بعض الناس لا يقتنع به حتى في الوعظ، في الوعظ الذي هو وعظ ليس فيه كفاية! فيبحث (تصفية القلوب) و(إرشاد القلوب) وأشياء من هذه، وهنا هو يقول لك: ﴿تَوَّأْنَزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ (الحشر: ٢١) أنت تريد تصفية قلوب هذا القرآن يصفي جبال، القرآن يمكن أن يصفي جبلاً بأكمله، وليس فقط قلباً، لكن أنت قلبك هو السبب.

(فمن لم يكتفِ بضياته فلا كُفِي) في الأخير الإمام القاسم عليه السلام يدعو على من لا يهتدي بالقرآن (فمن لم يكتفِ بضياته فلا كُفِي، ومن لم يشتفِ بشفائه فلا شُفِي، ففيه شفاء كل داء، وبيان كل قصد واعتداء) كل ما هو قصد وكل ما هو تجاوز: تعدّ (فلا يعرض عنه أبداً مهتدي، ولا يصد عنه إلا كل معتدي، هالك مهلك، يَأْفِكُ وَيُؤْفِكُ، يفترى على الله الإفك والزور) يقول لك: إنه لم يعد هناك شيء بعد القرآن إلا ماذا؟ زور وبهتان، ظلام، ضلال، بلاء مقابل الشفاء.

(ويؤثر على اليقين بالله الغرور، فهو أبداً التائه المغرور، وقلبه فهو الخراب البور الذي لم يُعمر بهدى الله منه معمور، ولم يسكنه من أنوار حكمة الله نور) الذي لا يهتدي بالقرآن ولا يشتفي بالقرآن، فلا هُدي ولا شُفي وهو هكذا في الواقع.

أيضاً الانصراف عن القرآن، هل أحد لدينا يؤمن بالانصراف عنه؟ أليس كل الناس يقرؤونه؟ وبعضهم يحفظه غيباً؟ أحياناً يكون الانصراف عنه بسبب مفاهيم هي التي تصرفك عنه، عن الاهتداء به ولو أنت ما زلت تقرؤه، يشكّل عوائق لديك عن الاهتداء به ولو ما زلت تقرؤه وتحفظه غيباً. ليس معناه أنك لا تقرؤه، بل هناك أناس يحفظونه غيباً ويقرؤونه باستمرار لكن من النوعية هذه (لم يُعمر بهدى الله منه معمور، ولم يسكنه من أنوار حكمة الله نور) وبعضهم يكون معهم مصاحف، تسجيلات ثباع بصوته وهم من النوعية هذه.

وأحياناً قد تكون نقطة واحدة كفيلة تجعلك لا تهتدي بالقرآن، واحدة، أو تضرب لديك كل ما يريد القرآن أن تنطلق فيه، عندما يقول لك: تطيع الحاكم الظالم فاعتبر أنه صرّ على القرآن كله، عندما يقول لك بالشفاعة لأهل الكبائر فهو صرّ على الإسلام بأكمله. تكون واحدة أحياناً وتضربه كله، لماذا؟ لأنه يتفرع تفرعات كثيرة يقوم عليها في مشاعره في مواقفه.

(أوما سمع - ويله - قول الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨) فكفى بهذا على من أعرض عن كتاب الله بياناً وبرهاناً واحتجاجاً)

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لِمَا تقدّمه من الكتب الإلهية السابقة ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب التي نزلها على أنبياء سابقين.

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ هو الحكم على تلك، هو المرجع لتلك، للقرآن هيمنة على هذه، ولا حظوا هذه العبارة نفسها إننا لا نقبل أن يكون القرآن في واقعه وفي الواقع مهيمناً على كتاباتنا وأفكارنا وتقنيننا نحن، وهو يقول هنا بأن الله قد جعل كتابه هذا مهيمناً على كتبه هو، وأنت لا تريد بأن يكون مهيمناً على كتبك أنت، لا تريد أن يكون مهيمناً على (كتب الحديث) على (أصول الفقه) على (علم الكلام) على كتب (ترغيب وترهيب) على كل شيء تثقيف من لديك؟! أليست هذه كلها صناعة بشرية، تقنيناً بشرياً؟ أليست كلها استقراءات بشرية؟

وهنا يقول لك: إن القرآن نفسه قد جعله مهيمناً على كتب الله هو التي نزلها على الأنبياء السابقين، مثل هذه لا نراها، نقول: (لا، باقي غيره، القرآن وحده كأنه ليس كافياً!) ثم ينطلق ويجعلها مهيمنة على الكتاب! فالمفاهيم التي يحصل عليها من خلال (علم الكلام) ومن خلال كتب (الترغيب والترهيب) ومن خلال كتب (أصول الفقه) يجعلها هي مهيمنة على الكتاب؛ لأنها قد صبغت نظرتهم، صبغت فهمهم وذهنيته فقد صار ينطلق بنظرة

مُعَيَّنَةً للقرآن وينطلق إلى القرآن ويصبغه بالقواعد والمفاهيم التي حصل عليها من الأشياء الأخرى. أليس هو هنا قد قلب الموضوع، جعل هذه مهيمنة على القرآن؟!

تلاحظ الآن في قابلية اليهود المسألة التي تطرح الآن، الآن زحف لمحاولة قابلية اليهود والنصارى بما هم عليه، يقولون: (اليهودية والنصرانية والإسلام كلها ديانات سماوية واحدة) وهو هنا يقول لك: ما كان لديهم مما هو حق، مما هو صحيح من التوراة والإنجيل في أصله، فالقرآن هو مهيمن عليه، إذاً ألم يحسم موضوعهم؟ لم يبق لديهم مما سوى هذه إلا أهواء، هذه مرفوضة أساساً ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهو القرآن؛ لأنه هو مهيمن على كل تلك الكتب السابقة، لم يبق معهم من بعد الكتب السابقة (كتبهم) لم يبق معهم بعدها إلا ماذا؟ إلا أهواء ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ليصرفك عما لديك من الحق.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الله شرع شريعة على يد موسى عليه السلام، شريعة على يد عيسى عليه السلام لأمة ضمن منهاجه، هو الذي وضع تلك الشريعة وذلك المنهاج، وضع هذا وجعل هذا ملزماً للجميع، وجعل هذا حكماً على الجميع ومرجعاً للجميع.

هنا تُقدِّم قضية أن اليهودي بما هو عليه الآن هو اليهودية، واليهودية يعتبرونها ديانة سماوية، إذاً فنحن المسلمون وهؤلاء اليهود الموجودون كلها واحد كلها ديانات سماوية واحدة هذه يعمونها على الكبار، يعلمونهم منذ زمن، وما تراه عند الكبار سينزلونه للصغار، إذا كنت سمعت من (السادات) ^(١) منذ زمن وسمعت من شخص آخر نظرة هكذا فالنظرة هذه ستعم على الآخرين، فافهم بأن اليهود ما كان لديهم من صحيح وهو التوراة في أصلها، الإنجيل في أصله نحن مؤمنون به أساساً من خلال إيماننا بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم هو مهيمن عليه، إذاً حسم موضوعها ولم يبق لديهم بعد هذه إلا ضلال.

القرآن قدّم ما لديهم منذ زمن، عرّاهم بشكل واضح في ثقافتهم: ثقافة ضلال، تحريف، يحرفون، يلبسون الحق بالباطل، هم هؤلاء، أنت تقصد هؤلاء الذين لم يبق لديهم إلا هذه: تحريف الكلم عن مواضعه، لبس الحق بالباطل، يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، عندهم ثقافة خاطئة كشفها القرآن الكريم ليست هي الديانة السماوية، ليست هي الديانة السماوية نهائياً.

كيف تريد أن تقبله بهذا الشكل؟! لأنه لو افترض أن ما هو عليه الآن هي التوراة تماماً، فهو يقول لك إنه حتى التوراة القرآن هو مهيمن عليها، احكم بينهم واحكم بين الناس جميعاً بالقرآن، حكم بالقرآن فقط، أما أن تأتي أيضاً تريد أن تجعل ما لديهم من ضلال وكأنه هو التوراة وتقول: (التوراة والقرآن كلها واحدة، فنحن يا أهل القرآن وأهل التوراة كلنا شيء واحد، فاليهودي على ما هو عليه...) هذا ليس صحيحاً على الإطلاق.

فالقرآن يقول هو مهيمن على كل الكتب السابقة، ويقول في نفس الوقت إنهم هم ملزمون بأن يؤمنوا بهذا الدين وبهذا القرآن ويتبعوه ويؤمنوا بهذا الرسول ويتبعوه، أليسوا ملزمين بهذه؟ فأنت مسلم يمكن أن يقبل، يقبل أن ينظر إلى اليهود على أن (تتعايش معهم ولا يوجد مشكلة، هي ديانة سماوية واحدة، ونحن ديانة سماوية واحدة، وكلها ديانة سماوية واحدة)؟! هذا غلط، هذا غلط، مثلما قلنا أولاً: ليسوا هم على الديانة السماوية السابقة هذا أول شيء، حتى لو عندك نظرة أنك ستقبل أصحاب الديانة السابقة؛ فافهم بأنهم ليسوا هم على الديانة السابقة نهائياً، ألم ينته الموضوع بهذه؟

وأنت تريد أن تفرض علي بأنهم هم أصحاب ديانة سابقة وتقبلهم، يا أخي هم لم يبقوا على الديانة السابقة، الله يقول لهم في أيام رسول الله: ﴿قُلْ قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ قَاتِلُوهَا﴾ (آل عمران: ٩٣) مخبئين التوراة هناك ومقدمين باطلاً تدليساً وتلبيساً وكتابات أخرى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٨) وأنت تريد أن تقبلهم هم وتجعل ما لديهم ديانة؟! هذا باطل واضح ليس فيه شك (فكفى بهذا على من أعرض عن كتاب الله بياناً وبرهاناً واحتجاجاً).

(وأيمن بمن عرف الله وحكمته، وإحسانه بتنزيل الكتاب ونعمته؟) لاحظوا هذه: (وإحسانه بتنزيل الكتاب ونعمته) ولهذا نقول نتلمس كيف كان أهل البيت، ألم تأت دعايات حول أهل البيت ومخالفة أهل البيت، وأشياء

من هذه. نعرف أهل البيت في رؤاهم، في نظرتهم، في مفاهيمهم في فكرهم، هي نقاط مهمة تأتي أحياناً بعبارات كأنها مسجوعة هنا يقول: إن الله أحسن بتنزيل الكتاب وأنعم على الناس بتنزيله، والكتاب أليس هو الدِّين؟ إذاً الدِّين نعمة والدِّين إحسان، بينما الآخرون يقولون: (تكليفات شاقة، تكليفات يتوخى فيها المشقة).

ألم يُقدِّم عند الآخرين أن الدِّين عبارة عن حمل؟! يتوخى فيه المشقة من أجل أن يُعرف من هو الذي سيعمل فيعطى حسنات، والذي لا يرضى أن ينتهي ولا يرضى أن يعمل يدخله جهنم وانتهى الموضوع. هنا يقول لك: الدِّين نعمة، الدِّين هو إحسان من الله، تنزيل الكتاب هو إحسان من الله إلى عباده، والإحسان أن يكون أحسن إليك، أي: أنك بحاجة إلى مثل هذه، والبشرية بحاجة ماسة إلى هذه.

(وَأَيْنَ بَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَحُكْمَتَهُ، وَإِحْسَانَهُ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ وَنِعْمَتِهِ، عَنْ كِتَابِ اللَّهِ) أي: أين يتاه به عن كتاب الله؟! أي: أن الموضوع خطير (وتنزيله، وما فيه من فرقان الله وتفصيله؟! وهل يذهب عنه إلا عمي القلب مقفله؟! لا يتدبر حكم الله ولا يعقله، كما قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) فلا يُسقط أبداً المعرفة بما جعل الله في كتابه من النور عن القلوب إلا انقفاؤها) أي: عندما تكون مقفلة (ولا ينقل قلب عمّا فيه من الهدى إلا بضلال) هذه قضية. القلوب لا تنقل تلقائياً، بل بضلال قفلها: مفاهيم ضالة، ومفاهيم مغلوطة قفلت قلبك، ولا ينقل قلبك إلا بضلال يبدأ من عندك يتمثل في البداية في أنك لم توطن نفسك على أن تقبل، لم تهتم أن تقبل، هنا قد ينقل قلبك.

(ولا يترك ما ذكر الله من تدبيره إلا من كان من الضلال، فأما من نور الله قلبه، ورضي عقله وثبته، فلا يعدل بتذكر ما أنزل الله من الكتاب) لا يعدل به شيء آخر (كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ٧) وقال سبحانه في كتابه، وما ذكر الله من نعمه وتذكيره به: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧) مستمع حاضر، يستمع وهو حاضر بذهنه.

(وماذا يا سبحان الله يريد من خلق الله كلهم مُريدٌ رشيدٌ بعد قوله تبارك وتعالى: ﴿يَقُومُ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم: ٢٣) وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣)؟! فأخبر سبحانه عن استسلام من في سمواته وأرضه، لحكمه فيهم وفي غيرهم وفرضه، وأخبرهم عن مرجعهم جميعاً إليه، ليحفظ كل امرئ ما حكم به له وعليه) عندما يذكر بالمرجع بالمصير هو لتنتبه عندما يُقدِّم ما فرض عليك ولك، ما يهديك إليه هو أن وراءه مصير، يتحدد مصيرك من بداية تقبُّلك أو عدم تقبُّلك.

(تعليماً من الله لهم لا كتعليم) أي: أبلغ من أيّ تعليم (وهداية من الله لهم إلى صراط مستقيم) (فكتاب الله أعانكم الله ما حييتم فاحفظوا) هذا حث بليغ على هذه (فكتاب الله أعانكم الله ما حييتم) لا يزال يتردد دائماً في حياتك كلها (فاحفظوا) أي: حفظ رعاية (وبه هداكم الله ما بقيتم فاعتظوا، فإنه أوعظ ما اعتظ به متعظ، وخير ما احتفظ به منكم محتفظ، لما جعل فيه لحافظه من النجاة، وهب لمواعظه لمن اعتظ بها من الحياة) تحيي القلوب (فعليه فاحيوا ما حييتم) مدة حياتهم (وبه فتمسكوا ما بقيتم، وفيه ما يقول لمن كان قبلكم رب العالمين: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾) متمسكين به متبعين له مهتدين به (﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّمَا لَا نُضِيعَ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأنعام: ١٧٠)) لأن هؤلاء هم مصلحون لا يضيع الله أجرهم (فالتمسك به أحسن الإحسان، وحقيقة الإصلاح والإيمان). أليست هذه منهجية أهل البيت؟ إذاً لاحظ لم نعد على هذه، منهجيتنا التي نقرؤها الآن ثقافتنا لم تعد على هذا النحو نهائياً.

تأتي أهواء في البداية، وغياب منهجية للهدى لا يوجد مقابلها إلا ضلال، عندما تغيب منهجية الهدى يُقدِّم بدلاً عنها ضلال، ويسرون عليها ولو بحسن نية ولو بإخلاص، يسرون على ضلال ويتعبدون الله به ويتحركون به. إشكالية الناس الكبرى تتمثل في انصرافهم عن القرآن. كل ما نراه من الثقافات المغلوطة هي تداعيات لانصراف الناس عن القرآن الكريم. هبطت المقاييس عندما عزل الإمام علي وهو قرين القرآن؛ لأن البديل الآخر هابط، لا تتصور بأن المسألة تبديل شخص بدل شخص وانتهى الموضوع.

ترافق معه محاولة الهبوط بالمقاييس للدِّين وللمفاهيم كلها لكي تتناسب مع هذا الشخص الآخر، الفارق ما بين علي وأبي بكر فارق كبير جداً، علي نوعية لا تحتاج إلى أن تُهبط الأشياء لتكون بمقاسه هو منسجم مع القرآن؛ ولهذا قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) قرين القرآن، منسجم معه، لكن

(٣) تَمَشِيخ: من اللهجة العامية، وتعني: تأخذ مَنْصِبَ شيخ القبيلة. المَشِيخ: زعامة القبيلة.

وعلى ذلك وعلى.

فهذا هو مرض، أي: هذه هي حالة خطيرة في أي مجتمع كان إذا كان لا يهتمهم، لا يهتم، فهؤلاء هم الذين يعقرون الدّين، وما تجد لا أنبياء ولا أولياء ولا أئمة كانوا يصيحون إلا من النوعية هذه (من أتباعهم). الإمام علي قال: (قاتلكم الله يا أهل العراق) لم يقل يا أهل الشام، ألم يقل هكذا؟ (لقد ملأتم قلبي قيحاً) أليسوا أتباعه؟ لا يتفهمون، لا يهتمون، لا ينطلقون، لا يتوجهون بالشكل المطلوب "مُبْهَطِينَ عَلَى طَوْل" (١) شقاق وأذية، من هم الذين قَرَحُوا قلب الإمام علي؟ أهل العراق وليس أهل الشام. الإمام علي عنده النظرة هذه وهي نظرة قرآنية: العدو في القرآن محسوم أمره إذا ما صلح الأتباع، إذا ما استقامت الأمة، العدو قدّمه القرآن قائلاً: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ﴾ (الفتح: ٢٢) ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (آل عمران: ١١١) هكذا يقول: إذا كنتم أنتم مستقيمين فالعدو موضوعه محسوم، عندما تستقيمون أنتم، تتوجهون أنتم، تنضبطن أنتم، فستكونون غالبين ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧٣) أليس هكذا يقول؟

بعد ذلك تنعكس القضية عندهم: (لماذا الأمريكيون قد أصبحوا يعملون هكذا؟) تأتي تساؤلات، لكن هذا عدو طبيعي أن يتحرك، طبيعي أن يعمل هكذا. الذي هو غير طبيعي هو موقفك أنت، بسبب موقفك أنت لا تتحرك، لا تتفهم، لا تكون بالشكل المطلوب، إذا كنت بالشكل المطلوب على هدي الله فهذا العدو سيُضرب. في الأخير يرى العدو هذا ويقول: (هل تستطيعون أن تبعدوا طائراته؟ تبعدوا غواصاته؟ تبعدوا صواريخه؟ تدمروا كل هذه الحكم التي عنده حتى لا يبقى معه إلا (نبال) وتقللوا عددهم أيضاً؛ وأبشروا بنا نبرز في الأخير! هذا المنطق غير معقول.

ولهذا لم يكن الانشغال في القرآن الكريم بموضوع العدو إلا بأن يكشف واقعه، يقول لك: كن هكذا، وكونوا بهذا الشكل وستجدونه سيهزم ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلَوْنَ الدُّبُرَ﴾ (القر: ٤٥) ومنطقه ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ﴾ (الفتح: ٢٢)؟ يبيّن لك كيف يكونون ويكشف العدو كيف سيكون إذا ما كانوا على هذا النحو، فكيف تأتي أنت تقلب النظرة تقول: "أمانة، عيب على الأمريكيين، لماذا يا أمريكيين؟! الله المستعان قد أصبحت متكبرين علينا، وأصبحت كذا، ومعكم أشياء كبيرة" ثم تقول لبعضنا بعض: "يا أخي معهم" عندما يقول لك: (إن معهم...) فليست نظرة من يُعد ما يمكن أن يضرب ذلك الشيء، أي: لديهم كذا، معناه ماذا؟ باستطاعتك أن تبعد هذا الذي معهم؟ فنحن مستعدون، معهم طائرات ومعهم صواريخ ونحن ليس لدينا شيء، معنى السؤال هو: هل هناك من يمكن أن يزيح طائراتهم وصواريخهم هذه؟ ونحن مستعدون أن نتجاوب، أليس هذا السؤال وارداً؟! العدو كيفما كان أمره محسوم إذا ما كان الناس بالشكل الصحيح، ولن يكونوا بالشكل المطلوب إلا بأن يصغوا عند التوجيه، أن يهتموا عند التوجيه. الإمام علي ألم يكن منطق البليغ في العراق؟ ولأنهم لم يكونوا يرضون أن يتفهموا، لم يكونوا يصغون بالشكل المطلوب؛ طلعوا أشقى شعب في الأمة هذه إلى الآن، إلى الآن. مع أنه قدّم لهم ببيان رهيب، ويتحدث معهم بنفس المنهجية القرآنية، يحذرهم من العواقب، يتلمس المفاهيم المغلوطة لديهم والإشكالات الداخلية، ويتحدث معهم حتى أحياناً عن طريق السخرية، وعن طريق الاستثارة لهم (القوم رجال أمثالكم) ألم يكن يقول أحياناً هكذا؟ هم مثلكم أناس ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء: ١٠٤) هذا شيء ينساه الناس الآن، ينسون عندما تقول: (أمريكا) يراهم أمامه قطعاً عسكرية، عندما تقول له: (أمريكا) حاول أن تسأل وستلمس في الذهنية أنك عندما تقول: (أمريكا، أمريكا) لا تتصور أنهم ناس! وهم أناس ممكن أن يُقتل بطلقة، أليس من الممكن أن يُقتل بطلقة؟ لكن عندما تقول: (أمريكا) يتصور تلك الأشياء التي يقدمونها في التلفزيون، لا يتصور أنهم أناس، وكأن ما لديهم من أشياء تأتي تلقائياً من نفسها هي، يراهم حديداً، أي: أمريكا هذه حديد وناز لا يوجد فيها ناس يمكن أن يتأثروا!

لتعرف كيف العدو، كيف واقعه، أليس القرآن يحاول أن يكشف واقعه؟ كيف هو، ماذا يريد، ونواياه وكيف... هذا الكشف يكشف، وفي مسألة البناء يبينك بالشكل المطلوب، تتعرف على العدو، أي: نفس المنهج

تتعرف على العدو ماذا لديه من قدرات؟ ماذا لديه من نقاط ضعف؟ كيف الوسائل التي يستخدمها؟ هذا موضوع، وتعد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠) وتبني هنا مهما كان العدو مهما كان شكله وأنت تكون بالشكل المطلوب فلا بُد أن يُضرب، لا بُد أن يُضرب، لا بُد أن يُهزم عندما يكون الناس بالشكل المطلوب. طيب، الشكل المطلوب الذي قدّمه القرآن هل معناه أن يكون الناس ملائكة؟ لم يطلب حتى هذه: أن يصل الناس إلى درجة ملائكة، مطلب قرآني أن يهتدي الناس ويكونوا بالشكل المطلوب على هدي الله، هذه قضية، لكن لرحمة الله بعباده تحدث عن الجهاد بأنه أيضاً وسيلة من وسائل: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الصف: ١٢) أي: لا يزال معكم ذنوب، أي: لم يربط المسألة بقضية مثالية أو مستحيل بأنه أولاً نكون ملائكة ثم ننتقل، هناك أسس يتحركون على أساسها، يكون هناك علم من أعلام دين الله (قيادة) وأهم موضوع يظهر هو أن يتبعوه ويطيعوه، هذه نقطة رئيسية مهمة، وهذا عرض لها، ما حصل في (أحد) هذا كان مثلاً.

أسلوب القرآن وهو يكرر (أطيعوه، اتبعوه) وأشياء من هذه، أليس القرآن يخاطبهم بتأكيد في هذه؟ وهو ما زال يمشي إلى الجهاد، وهناك قصور وما زال هناك تقصير، يقول: وهذا الجهاد سيكون وسيلة من وسائل المغفرة، يكون هناك صبر، يكون هناك وعي بعواقب الأشياء، خوف، مثلاً الهزيمة يكون خائفاً أن الهزيمة معناها ماذا؟ الهزيمة معصية كبيرة وفظيعة مصيرها جهنم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ * وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ ذُبْرُهُ إِلَّا مَنْعَرَفًا يَقْتَالُ أَوْ مَتَحِيرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَنُفُسَ النَّاصِرِينَ﴾ (الأنفال: ١٥، ١٦) خوف من الله من العواقب السيئة التي تترتب على تقصيرك وإهمالك وتراجعك، وطاعة واتباع، وأنت في نفس الوقت تستغفر وتتوب إلى الله، وإذا حصلت معصية تستغفر منها، حصل تقصير تستغفر، وأشياء من هذه.

هو ذكر حتى وهو يتحدث عن المتقين، كيف قال عن المتقين؟ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٢٥) يكون عندك روحية (متقي) هكذا، وليس باستطاعتك أن تصل إلى مرحلة أن تقول بأنك أصبحت ملك، لم يعد بالإمكان بحال أن تقترب معصية، لم تربط القضية بهذه. يكون عندك انطلاقة إيمانية، عندك انطلاقة تقوى فيما لو حصل تقصير، لا يقعد بك التقصير، استغفر وتب وصلح تقصيرك وانطلق، ويجعل العمل هذا نفسه وسيلة من وسائل الهداية، ووسيلة من وسائل المغفرة ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الصف: ١٢) ألم يقل هكذا في الحديث عن الجهاد؟

أهل العراق هل تتصورون أنهم كانوا أكثر التزاماً من أهل الشام فيما يتعلق بالعبادات؟ لا أعتقد أن في ذهنيتمنا صورة بأن أهل الشام كانوا أكثر تعبداً من أهل العراق، لكن لماذا ضرب أهل العراق؟ لأن هناك تقصيراً في هذه القضايا الأساسية، لا يوجد انطلاقة، لا يوجد تفهم للعواقب، لا يوجد خوف من الله من عواقب التقصير، لا يوجد طاعة لهذا القائد المهم، تخاذلوا فسيطر عليهم معاوية، كم الفرق بين معاوية والإمام علي عليه السلام؟!

لأنهم كانوا قد أصبحوا أرضية منحطة تتناسب مع معاوية، أرضية منحطة تقبل معاوية، لو كانوا أرضية من نوعية أخرى لما قبلوا إلاً علياً ولتشبثوا بعلي وعشقوا الإمام علياً، هي هكذا، الناس في الأخير ينحطون فلا يصلح لهم بعدها إلاً ذلك المقاس ﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٩).

حتى في مسألة الوحدة هذه هي منها، في الوقت الذي يتحدث عن أن الناس يسيرون على هديه، على دينه يصلحون أنفسهم، يكونون متقين، وسيكونون هكذا، وسيحصل لهم هكذا، أليست هذه قضية؟ لكن لأن الله رحيم يأتي من كل جهة، وحدة الكلمة نفسها أليس المطلوب فيها ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)؟

يتفهم الناس دين الله، ويكونون واعين، ويكونون متقين ملتزمين وأشياء من هذه. أليست قضية مطروحة؟ طيب، لا تتصور بأنه إذاً لنستطيع أن نكون متوحدين بشكل معين هو مرتبط أساساً بهذه، ثم نقول: (اتركونا أولاً نكون متقين، نكون، نكون، نكون، هكذا باستمرار باستمرار) أليس يحصل للواحد أحياناً تصوّر من هذا؟ لا. هو يقول لك القضية ليس فيها جلسة أساساً، لا يوجد جلسة، هذه قضية في الدّين لا يوجد جلسة (أريد أن أجلس أولاً أعمل كذا...!) لا. هي حركة مستمرة، تصلح نفسك هكذا، واعمل بكل ما تستطيع بهذا الشكل، أليس هذا مطلباً رئيسياً ومهماً؟

وأعتقد أنه بالنسبة للناس هيا لهم أشياء كثيرة؛ لأنه يبدو من خلال القرآن الكريم أن القرآن يُقدّم ويرسم للناس قضية؛ القضية هذه هي نصر دين الله حول المسؤولية جهاد في سبيله عمل في سبيل الله، أليس مع الناس قضية كبيرة الآن قضية أمريكا وإسرائيل؟ أي: أمامهم قضية، الناس هم في إطار عمل. طيّب، هذا العمل نفسه هو ميدان أمامك تستطيع أن تتفهم، تتفهم أشياء كثيرة، نحن نقول: الذي قد يكون ضربة عندما يكون الناس لا يتفهمون، ونقول أيضاً: نحن ننطلق على أساس أن تكون ثقافتنا قرآنية وحركة الناس قرآنية، هذا هو عنوان

نسير عليه جميعاً.

طبيب، عندما تعمل استقراء - مثلاً - للتاريخ من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم تجد أساس الإشكالية عندما يكون الناس لا يعطون القضايا أهمية، لا يعطون القرآن وهدى القرآن أهمية كبيرة، أي: لا يوجد يقظة واهتمام بالشكل المطلوب، هذه حالة خطيرة جداً، إذا لم نصل إلى الدرجة هذه فأعتقد بأننا قد نكون عند الله أسوأ من غيرنا، إذا لم يكن الناس هم من اتجهوا اتجاه قرآنياً وهم متأسفون.

من خلال الشواهد؛ لأننا الآن لا نتحدث عن أشياء هي عبارة عن فرضيات أو احتمالات أو نظريات أو كذا، بل أشياء شواهدا في القرآن الكريم، وشواهدا في الواقع. طبيب، فإذا كان الناس لا ينطلقون انطلاقاً بتفهم حتى يحصل عندهم تأهيل لنفوسهم أولاً في إطار ماذا؟ أن يكونوا فاعلين ومؤثرين في عملهم؛ معنى هذه أن المصيبة قد تكون علينا أكثر من غيرنا.

فأهم نقطة نبدأ بها هي ماذا؟ أن يكون عندك اهتمام فعلاً بالوضع العام، أي: تعتبرها خطورة كبيرة على الإسلام وعلى المسلمين هذا الشيء الذي يحصل، تكون أنت تحس بتألم واهتمام لهذه، هذه واحدة، إذا كان عند الواحد برودة أو ما ضاق من الموضوع أو يحصل ما حصل أو أينما وصلت الدنيا تصل فهذه سلبية كبيرة.

لاحظ القضية لها علاقة بتركية نفسك، لها علاقة بسمو نفسك، لها علاقة بتأهيل نفسك، إن كنت تحمل روحاً متوقدة فعلاً روحاً متيقظة مهتمة تتألم للأشياء هذه؛ فهذا هو نفسه باب من أبواب أن تتفهم فتعلم أكثر وتعرف أكثر وتستفيد أكثر، سيكون تأهيلك لنفسك بشكل كبير وبشكل واسع.

إذا كان الواحد من النوعية الأخرى (بارد، وما ضاق، يحصل ما حصل) فلن تكون المسألة فقط بأن يحين الناس في نفوسهم^(١) بل هو نفسه حجب عن نفسه معارف كثيرة، هو رضي لنفسه أن يكون منحطاً في علومه في معارفه في أن يكون بعيداً عن الاهتمام، هذه قضية لها أثر على النفس، أي: الإنسان هو يؤثر ويتأثر أيضاً.

أمامنا أوسع مما نتحدث عنه عندما نقول مثلاً: نحن الآن نجتمع على أساس دورة (المراكز الصيفية) أليست نظرنا الآن إلى الناس؟ لا، المطلوب تأهيل أيضاً ليكون الناس بمستوى أن يواجهوا أي أفكار منحرفة أي دعايات ضالة أي حملات ثقافية من عند الكبار هؤلاء من عند الأعداء، وهي أشياء تكون مفلسفة بعضها أشياء يحاولون أن ينمقوها بشكل كبير لتكون مقبولة، فيكون عندك قدرة على فضحها، يكون عندك قدرة على كشف بطلانها.

تكون عندك قاعدة ثابتة تفهمها أولاً أنه بالنسبة للقرآن الكريم بالنسبة للدين أن الله أنزله إلى هذه الأرض وهي مليئة بثقافات وديانات وفلسفات أخرى، وأنه واثق أن هذا الدين يستطيع أن يظهر على كل هذه الأشياء، وأنه يستطيع أن يكشف بطلانها، يستطيع أن يكشف زيفها، يستطيع أن يكتم أفواههم في الأخير، معنى هذا يكون لديك فهم أن كل شيء آخر ليس له علاقة بهذا الدين في الأخير يتنافى مع هذا الدين فلا يمكن أن يعجز هذا الدين.

إذاً فالدين والقرآن لا يوجد مشكلة بالنسبة له هو غير عاجز، سيكون العجز من أين؟ العجز من عند من يُقدّمونه، هذه قضية ملحوظة وهي مؤسفة، نحن نرى عندما يتحدث (بوش) أو أي زعيم من هؤلاء أو علمانيون عن الديمقراطية والحرية والانفتاح وأشياء من هذه تجد أن القضية تُخرج من؟ تُخرج الإسلاميين، أليست تُخرجهم؟ فتقدّمهم للمجتمع وكأنهم نوعية شاذة ونوعية غير مقبولة، وكأن طرحه هو هو المقبول، وهو الذي يريده الناس، وهو الذي يرتضيه الناس، وهو الذي يرغب إليه الناس، وهو الذي يراه في مصلحتهم، أليس هكذا يعملون؟ لو تتابع التلفزيون ستلمس هذه القضية وتلمس الضعف في الطرف الآخر (الإسلاميين) الذين يكونون من (الإخوان المسلمين) أو من أي حركة أخرى.

أليسوا يظهرون ضعافاً في الموضوع؟ هنا يقول: إذاً لا يمكن أن يكون هذا الضعف في الدين (في القرآن) وإنما ضعف من عند من يُعبر عن هذا الدين، عندما لا يكون مستوعباً ولا فاهماً، بل عنده أغلاط تجعله هو يضعف ويعجز أمام الطرف الآخر (أمام باطل) معنى هذا بأنه لا بُد والناس في زمن كهذا أن يؤهلوا أنفسهم بحيث يستطيعون أن يخدموا هذا الدين، فيجعلوا الآخرين هم يبدون عاجزين أمامهم في منطقهم في أطروحاتهم أي أطروحات كانت.

(١) يحين الناس في نفوسهم: من اللهجة العامية، وتعني: يواجه الناس مشاكلهم بأنفسهم.

القضية الآن أبسط مما كانت سابقاً، القضية الآن أبسط - مثلاً - مما كان في أيام (محمد باقر الصدر) قبل عشرين سنة، كانت القضية سابقاً تحتاج إلى نوع من الفلسفة (طرح فلسفي) الآن تكشف الأشياء، فأمامك الآن أمثلة ملموسة تقدّمها للناس للتدليل على بطلان نظرية مُعيّنة، للتدليل على بطلان أطروحة مُعيّنة، للتدليل على بطلان عنوان مُعيّن، قضايا ملموسة.

طبيب، نحن من واجبنا - لو كان لدينا قدرات وكنا فاهمين - من أول واجباتنا أن يكون عند الناس (مركز معلومات للتوثيق) يكون عندك إحصائيات لكل شيء ممكن أن تلقاه على أيديهم، إحصائيات ومعلومات عن كل شيء، معلومات عن الانتخابات كم تكلف، وكيف يكون وضع المجتمع أثناءها في أمريكا في أي بلد آخر، إحصائيات عن الجرائم في أمريكا في أي بلد آخر، إحصائيات عن القرارات التي تحصل من مجلس الأمن ولا تنفذ مع إسرائيل وتنفذ في بلد آخر وبلد آخر لا تنفذ، كل هذه الأشياء، كل هذه الأشياء هي أمثلة تحتاج إليها وتجعل الناس يقبلون طرحك بطريقة لا تحتاج إلى عمق على نحو فلسفي مثلاً كان يحتاج إليه (محمد باقر الصدر).

القضايا الملموسة تستطيع أن تجعل الناس يلمسونها، وأن تدلل على بطلان فكرة مُعيّنة، مسيرة مُعيّنة، دعوة مُعيّنة، توجه مُعيّن... إلخ، أمامك أشياء ملموسة. طبيب، هذه ليست في البال، لا يوجد عندنا قدرات وليس عندنا مركز معلومات متكامل.

يحدث الإيمان القوي بما لديك عندما تكشف سوء الأطروحات الأخرى، إيمان: تقتنع مطمئن تعرف فعلاً بأن هذا أحسن وأن هذا هو أرقى وأفضل وأسمى، وبطريقة تستطيع أن تقتنع الآخر به، تقتنع الآخر ولديك أمثلة. عندما تقرأ مثل كتاب (فلسفتنا) أو كتاب (اقتصادنا) لمحمد باقر الصدر أليس طرحاً فلسفياً؟ في السنوات هذه الأخيرة ألم يتكشف كل شيء؟ تكشف زيف أشياء كثيرة، تكشف بأنه بالإمكان التزييف واللعبة لأشياء كثيرة وما يقدّمونه من عناوين تكشف عدم واقعيتها، تكشف بشكل ملموس يستطيع أن يلمسه الكثير من الناس من خلال مشاهداتهم، ومن خلال الإحصائيات التي تقدمها أنت، إحصائيات عن المجتمع الفلاني بدءاً من اليمن وإلى أي مكان يمكن أن تحصل على معلومات من داخله عن واقعه عن نظامه السياسي... إلخ. يجب أن نعمل على تأهيل أنفسنا لنكون بمستوى فعلاً أن نعمل على أن يفهم الناس الإسلام بماذا؟ بجاذبية بقناعة بطمأنينة بانشداد إليه.

طبيب، لا يمكن أن يستفيد الإنسان لا وهو متجه ليعلم الناس ويرشد ولا من أجل أن يؤهل نفسه إلى أن يكون على مستوى - مثلاً - أنك لن ترى شيئاً يمكن أن تتهيب منه على الإطلاق، لن ترى نظريات، لن ترى أطروحات، لن ترى شعارات، لن ترى عناوين يمكن أن تتهيب منها.

طبيب، هذه مثلاً قلت سابقاً: ليس القصد أن يحصل عندك نظرة غرور، بل من منطلق إيمانك بأن القرآن نفسه هو بهذا الشكل أساساً، فقط أريد أن أفهم هذا القرآن؛ ليكون لك أنت من خلال القرآن غلبة القرآن ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦) أليس هكذا يقول؟ في كل المجالات إن حزب الله سيكونون هم الغالبون. أي شيء مما يبدو برفاقاً وهكذا ويضحكون على الآخرين به ويخدعونهم به يستطيع أن تفضحه من خلال القرآن. وليست على طريقة الوهابيين (أقول لك تعمل كذا، ثم أسميك شيخ الإسلام: أبو الحسن، أبو زعطان، أبو قلتان)^(١) أليست هذه تكون لفظة على الفاضي؟ بل من منطلق إيمان بأن لدينا قرآناً هو أنزل والدنيا فيها فلسفات وثقافات وديانات، وهو واثق من نفسه بأنه سيظهر على هذه كلها وأنه ليس شيء من هذه الأشياء يمكن أن يقف أمامه وسيفضح أي شيء من هذه، لكن عن طريق من؟ عن طريق من يتحركون به ويفهمونه ويوهلون أنفسهم أن يكونوا مُعبرين عنه فعلاً، صوت ينطق، قرآن ينطق مثلاً قال الإمام علي (عليه السلام) (قرآن ينطق).

لا أن يبقى الواحد متخوفاً يبقى الواحد متهيّباً، و... ثم سيمر في حياة الواحد مع الصراع مع المتغيرات ما تدري إلا ومر بك موقف في حياتك ولو تلقائياً، أنت في صنعاء مثلاً قالوا: هناك ندوة، يجرك أناس معاريف قالوا: ضروري أن تأتي معنا، أليست قد تأتي بالشكل هذا؟ تدخل ندوة وأمامك يوجد أطروحات مُعيّنة ثم تشعر بأنه لو كان هناك تأهيل لنفسك في موضوع هذه الأشياء. ثم يُقدّم الواحد نفسه مع الضعاف. ألسنا الآن نظهر ضعافاً علماء ومثقفين وكتاب ومناظرين؟ يظهرون ضعافاً ويتنمر عليهم العلمانية الذين هم

(١) أبو زعطان، أبو قلتان: من اللهجة العامية، ومعناها: أبو فلان.

منكرون أن الدين له علاقة بالحياة؛ ولأن هذا عنده إشكالية، ثم تظهر لك في نفس الوقت الإشكاليات كيف يكون لها أثرها. مثلاً (أحمد ديدات) ألم تكن مناظرته جيدة؟ أخرج وكان سبب إحراجه أنه شخص يتولى عثمان، لأنه حتى الشخصيات عندما تكون ولأدائك مغلوطة فسيظهر ضعفك: (قال إن عثمان أحرق القرآن) وأنت تعتبره صحابياً وخليفة وأشياء من هذه، أنت عندما لا يكون عندك ولا عثمان فلن تخرج أن تقول بأن عمله هذا كان خطأ.

[هناك شبه تأتي حول القرآن الكريم، لكننا نلاحظ أن الكثير ممن يتصدرون للرد عليها لا يمتلكون القوة [التي] يهاجمون بها الآخرين، قد يكون بالطبع الظاهر الذي يظهر فيه كونهم متولين لأبي بكر وعمر وعثمان، أمام شبه كثيرة تأتي من قبل الآخرين، معظمها مرتبطة مثلاً بأبي بكر أو عمر أو عثمان، عثمان في كونه أحرق المصاحف، أليست هذه قضية مرجحة؟ طيب: فهنا تكون إشكالية كبيرة عنده، ضعف، لن يجروا على أن يناقش القضية، ويعرف عثمان، ويمكن ولو يتكلم على عثمان نفسه.

الشبه - هي مرحلة شبه - والشبه ربما لن تكون فقط في داخل أروقة جامعات أو مراكز علمية، قد تكون ربما شبه تأتي من على الشاشات، من التلفزيون، والإنترنت، وغيره. كم يقولون إنه يوجد داخل الإنترنت صراع، مواقع حرب، مواقع صهيونية، ومواقع أخرى في صراع حول هذه القضايا.

شبه حول القرآن مثلاً أنت بحاجة أن تعرف من خلال تأملات في القرآن الكريم، من خلال أن تتشف نفسك ثقافة قرآنية، تفهم كيف لغة القرآن بالنسبة للطرف الآخر، أولاً كيف تنشأ الشبهة عند الطرف الآخر، وما منشأ الشبهة؟ هل القرآن كتاب يقول مثلاً يقول لك أي منجم: (لن ينفعك إلا إذا قد بدأت أولاً تؤمن تماماً به أنه كذا كذا) فيكون هذا فقط تأثيراً نفسياً؟ ألا يبدو هكذا أحياناً؟ هذه قضية ليست منطقية عند آخرين، أقول لك: إشكالاتك أنك أولاً صدق به تماماً، ثم سترى أنه لا يوجد إشكال، لا، تحدث عن منشأ الإشكال، هو فقط القرآن يريد منك نظرة موضوعية أولاً، إذا لم يكن لديك نظرة موضوعية، إذا كنت متحاملاً فمنشأ الشبه هو كونك متحاملاً، أنك لا تنظر نظرة موضوعية، لا تنظر نظرة منصفة.

هذه القضية مسلم بها في الجدل أنها من الأسس التي كل طرف يطلبها من الآخر، أليس كل واحد يطلبها من الآخر؟ يا أخي: (أريد أن تكون أنت منصفاً، تكون موضوعياً) والآخر يقول له: (يا أخي أنا أريد أن تكون أنت منصفاً وموضوعياً) أليسوا يقولون هكذا؟ القرآن هو يريد هذا، افترض أنه لا يريد أن يكون منصفاً، لا يريد أن يكون موضوعياً، أنت يكون لديك فهم كيف تضرب ما يمكن أن يقدمه من شبه، سواء قدم نفسه موضوعياً أو لم يقدم نفسه موضوعياً.

طيب: المرحلة التي نحن فيها الآن مرحلة إيجابية، مرحلة مهمة جداً؛ لا يوجد فيها شيء ضاغط قد يفرض علينا منطقاً معيناً، قد يفرض علينا منطقاً مؤطراً بإطار مشكلة معينة.

هنا فعلاً تستطيع أن تقول: أنت تريد ثقافة قرآنية، تقدم ثقافة قرآنية، وتستطيع أن تقدمها بالطرح المتكامل، تستعين بما يوجد من شواهد حولك في واقع الحياة. أليس هذا شيئاً؟ لكن لو تأتي وهناك وضع ضاغط عليك، مثلاً أن تصبح مثلاً أصبح اللبنانيون محتلين فسيختلف المنطق، يفرض عليك من خلال وضعية معينة أن توطر أطروحتك بإطار معين، فيظهر عندك خلل، يظهر عندك خلل في جوانب هنا وجوانب هنا؛ لأنك في وضعية ضاغطة.

الوضعية التي نحن فيها الآن من أرقى وأفضل الوضعيات على الإطلاق، أي: بعبارة أنه هكذا على الإطلاق أرقى وضعية بالنسبة لك. شواهد من حولك وكلها ليست بالشكل الضاغط عليك الذي يحكم منطقك في إطار معين، أي: فأمامك مجال لتأهيل نفسك، أمامك مجال لتفهم الموضوع بشكل كامل، أمامك مجال لتقدم طرحاً إسلامياً عاماً. الآن يوجد إشكالية، أليست هناك إشكالية بالنسبة للمسلمين الآن؟ يوجد إشكالية كبيرة جداً، مثلاً قد نقول: بأن كل بلد مؤمن بأنه يقاوم الاحتلال، أليس كذلك؟ في لبنان مقاومين الاحتلال ومؤطرين أنفسهم بإطار مقاومة احتلال، في العراق قد يكونون بهذا الشكل، في فلسطين هم بهذا الشكل، في أفغانستان قد يكونون بهذا الشكل، وفي أي بلد آخر قد يكونون بهذا الشكل.

طيب: نفس هذه الحركات هي قد تفرض عليها وضعية توطر منطقها، وتوطر أسلوب عملها فتراها في الأخير حركة تؤمن هي بأنها حركة لا تقدم الإسلام بالشكل العام في الساحة، أليست هذه واحدة؟ إذاً سيطلع لك خلل

هنا، وخلل هنا، وخلل هنا، وخلل هنا، الكل مجموعة حركات هنا وهنا، والإسلام بطرحه العام باستشهاده العامة لا يوجد، لا يكون حاصلاً.

لاحظ مثلاً كمظهر لهذا متى سمعنا مثلاً من أي حركة من الحركات هذه التي أصبحت محكومة ومؤطرة بواقعها أنهم يقولون للأمريكيين: (أنتم تأتون، أنتم تعطون لأنفسكم شرعية أن تدوسوا هذا العالم كله، وتغيروا أنظمتها، وتغيروا ثقافته! نحن لنا شرعية أن نتحرك نفس الحركة) هل أحد يقول بهذه؟! لا. هم يقولون: (نحن لنا حق أن نقاوم، ونحن مقاومون، ولي حق أن أقاوم عن وطني، وعن تربتي، وعن، وعن، وعن...) يضغطون أيضاً عليه في أن يفقدوه شرعيته، يحاولون أن يصنفوه إرهابياً وهو في داخل بلاده!

طيب: هذه المسألة فيها حرب شرعيات، لماذا لا تتذكر أن تقول للأمريكي: (أنت ترى لنفسك شرعية من هذا النوع، أنا أرى لنفسك شرعية من هذا النوع: أن أحاربك، وأقدم الإسلام، والإسلام هو للعالم كلها، وللعالم كله، لي شرعية أن أتحرّك إلى أقصى منطقة في الدنيا، مثلاً أنت ترى لنفسك شرعية؟ هنا الأمريكي أليس سيّر بأنك تأتي بشيء ليس غريباً بالنسبة له؟ تقول له: أنا مثلك، لماذا أنت ترى لنفسك شرعية أن تتحرك في الدنيا كلها وتغير أنظمتها، وتغير ثقافتها على مزاجك، وعلى ما يتناسب مع مصلحتك؟ أنا أقول لك: هذا ديني هو بهذا الشكل، هو للعالمين، ورسول للعالمين، وشرعيتي ممتدة من هذا الدّين، من هذا الكتاب أن أتحرّك في الدنيا كلها؛ هنا ستفوت عليه محاولة الضغط عليك، وتأطيرك، بحيث يربطك بترية بلادك، ثم يخلق عليك ضغوطاً.

الآن لاحظوا حزب الله، الذي قد يكون أرقى حركة في تقديمه، في طرحه، الآن معرضين لضغوط رهيبية. رأيناهم في الخطاب الأخير لم نسمع (شعار) من أين جاءت هذه الضغوط؟ على إيران، على سوريا، على لبنان، وأصبحت ضاغطة عليهم هم، أليست هذه مؤشرات خطيرة؟ مؤشرات خطيرة. شعار: (الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل) هل سمعناه في الخطاب الأخير في عيد النصر؟ في النصر الأول سمعناه، في عاشوراء، في أربعينية الإمام الحسين كنا نسمعه، من أين جاء هذا؟ جاء ضغط ربما من جانب إيران، وسوريا (إيران خاتمي) إيران الانفتاح، الانفتاح يعني: الاعتدال، والاستعداد لتقبل ما لدى الآخر، ليس على عنوان: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦٤) مع أنه عنوان (حوار الحضارات) الذي يقدمه (خاتمي)!

إذاً تجد حزب الله أصبح مضغوطاً عليه الآن، الشعار ربما لم يعد يرفعه! لم تضغط عليه إسرائيل مباشرة، ولا أمريكا مباشرة، ألم يحصل هكذا؟ وهم لديهم قوة لا تستطيع أمريكا أن تضغط عليهم مباشرة، ولا إسرائيل مباشرة، لكن ضغط عليه طرف آخر. هذا الطرف الآخر ظهر من خلال هذه: خلل معين لتأطير حركتي في البداية يوم انطلقت لتكون حركة مقاومة لبنانية لتحرير أرضي من إسرائيل. أليست هذه هي الفكرة؟ كنت قابلاً أن تدعمني إيران، وتدعمني سوريا، وقضية تقوم فيها جميعاً، ودعموك؛ أصبحت مديناً له، ألم تصبح مديناً له؟ أصبحت مشاريعك مفضلة على أساس دعمه ومساندته، أي: هم قاموا في ظرف كانوا فيه مضغوطين باحتلال، الفكرة السائدة عندهم والتي في رؤوسهم هي ماذا؟ مقاومة احتلال، أي: احتلال إسرائيل، إخراج إسرائيل من بلادهم، أليس كذلك؟

انظر كيف جرهم التأطير إلى أن يعملوا على أن تساندتهم إيران، وتساندهم سوريا، أليست هذه تبدو إيجابية؟ إيجابية، لكن انظر كيف يكون هذا الشيء، يكون له خلل في الأخير (إيران الخميني) كان يمكن ذلك، إيران الخميني باستمرار لو كان الخميني موجوداً لا يمكن أن يحصل من هذا، لكن تتغير - أحياناً - الدول فتتغير مواقفها، فيحصل مزايدة تضحي بحركة إسلامية من هذا النوع.

طيب: هذا مثلاً ما تراه بسبب أنهم كانوا في وضعية نحن الآن لسنا فيها. إذاً أنت الآن قادم الإسلام، قادم طرحك إسلامياً متكامل، وحاول أن تفهم كيف يمكن أن تخاطب الآخر. لماذا نرى كل حركة دائماً مضغوطة؟ ولا يرون أن الأمريكي يتحرك تحت شرعية لنفسه، لا يستطيع أن يقول له: (وأنا لي شرعية مثلك) وضعية (حزب الله) الآن مع أنه مؤسف جداً أن يكون هناك ضغوط على حزب الله قد تقلصه أو ربما قد تساوم به، ربما قد تجرده من سلاحه، ربما قد تؤثر عليه فتقعهده؛ لأن هناك ضغوطاً من جانب إيران، من جانب سوريا، سوريا بدا منطقها منطقاً ليناً يقولون: (هم سيساندون حزب الله ما دام عمله في داخل لبنان) أليس كذلك؟ هنا الكل لا يلحظون شرعية هذه الانطلاقة العامة، لا يلحظون هذه الشرعية: أن لهم من الأساس شرعية أن يتحركوا

لمقاومة الأمريكي، مثلما الأمريكي يرى أن له شرعية أن يتحرك على مستوى العالم. هذا المنطق نفسه خطير جداً على حزب الله.

نستفيد من هذا عندما نقول: لدينا وضعية مهمة جداً، كل الشواهد من عندك، ومجالات مفتوحة لديك، وليس هناك وضعية ضاغطة عليك: احتلال أمريكي مثلاً، أو احتلال إسرائيلي. فأنت لديك مجال أن تثقف نفسك، لو كنت في وضعية محتل لكانت ذهنيته رفع محتل، تفكيرك تفكير رفع محتل، ربما تنسى تأهيل نفسك للرؤية العامة، للقضية العامة، للموقف العام، لشيء عام، يكون الشيء الذي قد طبع في ذهنك، ومسيطر على ذهنيته هو ماذا؟ رفع الاحتلال، مقاومة الاحتلال، إخراج احتلال، مسألة احتلال، تفكير احتلال، وتخطيط لرفع احتلال. أليست كلها ستؤطرها هذه؟

الآن نقول: نتقف أنفسنا ثقافة نستطيع أن نواجه الحرب التي هي حرب على الإسلام الإسلام، ومسلمين مسلمين، ليس فقط حرب على لبنان، حرب على إيران، حرب على العراق، احتلال للعراق، احتلال للسعودية، احتلال لليمن، أشياء من هذه، هذه قضية فرعية في داخل مشروعك، في داخل مشروعك أن أول شيء تنظر ماذا يريد العدو؟ أليست هجمة هذا العدو هجمة عامة على الإسلام والمسلمين؟ إذاً لا يفك هذا، لا يواجه هذا إلا نظرة تحمل نفس العمومية، نفس الشمولية لصد العدو، أي: حركة إسلام، مسلمين، حركة تؤهل نفسها لتواجه مشروع العدو في طرحه؛ ولهذا عندما يتحدث عن مناهج تعليمية، أليست كلها - وهو يغير هنا، يغير في السعودية، يغير في العراق - في إطار مفهوم لديه هو ماذا؟ حرب ثقافة إسلامية؟

عندما يأتي في التلفزيون مثلاً من الجزيرة، أو من أي منطقة يبرر قضية معينة، أو ينمق قضية معينة، هل سترها مرتبطة بوطن معين؟ أو تراها حرباً على مفهوم إسلامي، ثقافة إسلامية؟ نحن الآن في وقت الذهنية ليس مضغوطاً عليها بهذا الشكل، هو وقت أن يكون لدينا حرص على أن نتقف ثقافة إسلامية قرآنية، نظرة قرآنية، ثقافة قرآنية، موقف قرآني. والقرآن نفسه هو يعلمك كيف تكون نظرتك، وأين حدود نظرتك. وهذا هو ما يتطلبه مواجهة العدو.

عندما خطب (حسن نصر الله) في الخطبة الأخيرة كانت مؤلمة، فعلاً كانت جداً مؤلمة تكشف عنده تألم هو، في الوقت الحرج جداً، وأمريكا داخل هذا البلد، قد احتلت بلداً، وإسرائيل تستغل في داخل فلسطين، وإذا هو يعكس مثلاً وضعيته وكلامه وكأن هناك مساومة على تجريد (حزب الله) من سلاحه، على تعطيله كحركة، على إيقاف أشياء معينة، على سكوت عن أشياء وهكذا.

هذه من الأشياء الخطيرة، في الوقت الحرج ترى مساومة عليك من هذا النوع، هو يقول: (واجبنا الديني والإيماني والوطني والإنساني يحتم علينا أن نتمسك بكل عناصر القوة) هو يخاطب إيران وسوريا، ولا يخاطب جماعة حزب الله، يقول: (حزب الله هو قوة لكم بسلاحه) يقول: هذا السلاح إذا هناك ناس يتخوفون - أي: يعكس لك من خلال كلمته حملة شديدة عليهم - (هذا السلاح منذور، أي: نذر. موقوف، أي: وقف) يقول - بالتعبير الفقهي - (لواجهة العدو الصهيوني، وأي طرف يفكر في غزو بلدنا). أي: هناك مساومة حول موضوع السلاح، مساومة حول موضوع منطقته وطرحه، فعلاً من بوادرها قد تكون هذه: أنه لم يظهر الشعرا! إنما (هيات منا الذلة) وحدها فقط. ألم يكونوا يهتفون به سبع مرات؟ لم يعد هناك شيء، يبدو أنه الآن في وضعية ضاغطة جداً.

يوم كانوا مرتاحين بالدعم الإيراني، بالمساندة الإيرانية، يوم كانت حركتهم مؤطرة بنحو معين تظهر سلبيات، أي شيء يؤطر بإطار معين ستظهر سلبياته، تظهر النتائج الضاغطة من ورائه؛ لأن السوري، الإيراني، يمكن أن يقول: (يوجد ضغط شعبي داخل إيران) لأن جماعة (خاتمي) ثقّفوا الشعب الإيراني تثقيفاً هابطاً.

لاحظ الآن أمريكا أليست تضغط على إيران؟ قد يأتي الإيراني في الأخير يقول: (ما دامت أن مساندتي لحزب الله من أجل أن يحرر منطقة معينة قد تؤدي إلى ضربنا نحن الشعب فلنتوقف عن هذه! يجب أن نحافظ على مصلحتنا، يجب أن...) أليس هنا ظهر أثر تثقيف غير إسلامي؟ هذا يكون ضاغطاً على القيادة في إيران مثلاً.

إذا كان هناك قيادات عندهم نظرة إسلامية فهذا المنطق الشعبي يكون ضاغطاً عليهم، وفي الأخير يضطرون للتخلي عن حزب الله، أليس معنى هذا أنها ستكون ضربة شديدة لحزب الله أن يتخلوا عنه؟ الأجواء مهيأة أن يتخلوا عنه، إلا أن يهين الله شيئاً آخر، وإلا فالأجواء مهيأة والمؤشرات أنهم قد يتخلون عنه.

لماذا وصلوا إلى هذه؟ لأنهم تحركوا في وضعية مضغوطة باحتلال إسرائيلي، كان ما يحكم تفكيرهم، ما يحكم نظرهم، وأشياء من هذه كلها وضع احتلال، أي منطق آخر تكون هذه من نتائج، عندما نقول نحن مثلاً: نحاول إذا عندك عمل من هذا العمل: عمل في سبيل الله، ويكون له أنشطة تحتاج إلى تمويل، يجب أن تركز وفق منهجية القرآن، تركز على جانب تثقيف الناس بثقافة العطاء (الإنفاق) وتقول لهم بقيمة هذا الموضوع في القرآن، أهميته في القرآن، ويكون شيئاً متكرراً على الناس، متكرراً على الناس باستمرار.

ثم تجد عندما يكون الناس معتمدين على أنفسهم سيتمكنون أن يكون عملهم متكاملًا، يكون طرحهم متكاملًا، لا يرون أنفسهم مدينين لأحد، هذه إيجابية بالنسبة لنا، أي: شاهد على أنه لا يوجد معنا مساندة من إيران، ولا من أي طرف آخر، أننا نتمكن أن نطرح الطرح الذي هو نقد لِمَا عليه علماء في إيران، لِمَا عليه علماء في لبنان، لِمَا عليه حتى في بلادنا، أليست هذه إيجابية؟ لو كنت مثلاً مديناً لمساندة طرف آخر لكان هذا سيحكم خطابك، يحكم منطقك.

يجب أن نفهم أن الناس في فترة زمنية مهمة، في مرحلة من أفضل المراحل بالنسبة لهم أن يتثقفوا، وأن يتثقفوا، أن يعملوا وأن يحركوا الآخرين ليعملوا، من أفضل المراحل. إذاً فالإهمال والتقصير في مرحلة كهذه، فترة كهذه، ونحن نرى الآخرين مثلاً، الذين لم تنتهياً لهم فرصة كهذه كيف أصبحوا يعانون من ضغوط معينة وهم أقوى منا، وهم أقدر منا، لكن لاحظ كيف أنه يحتاج إلى أن يظهر أثر أي شيء حكم مشروعك من البداية، حكم طرحك من البداية.

عندما يأتي إهمال من جانبنا، من جانب شخص معناه أن المسؤولية تكون كبيرة، وتكون خطيرة أمام الله؛ لأن هذه التهيئات معناها ماذا؟ تهينات إلهية، وتهينات لو تأتي مثلاً تقيّمها، تنظر إليها، تسردها، تراها أشياء عجيبة، وواسعة جداً، هذه التهيئات لأن تطرح ثقافة قرآنية، في ظل وضع عدو يتجه لطمس ثقافة قرآنية، وليس هناك صوت يتبنى الموضوع فيتاح له أن يكون بالشكل المتكامل، يا إله عوائق طائفية مذهبية لديك، أو عوائق من وضعية معينة مفروضة عليك.

نحن نرى الآخرين ليس على أساس أننا نقول (الآخرين لا قيمة لهم) لا، قيم واقعهم فعلاً، أي: نقطة واحدة لا تسمع لها صوت، قضية أنه لماذا هم تاركون الأمريكي يزحف ويثقفنا بأن له شرعية يتحرك كيفما يريد، وليس فينا من يقول: لا، لنا شرعية أن نتحرك في مواجهة عدو الله أينما كان؟! هل هناك أحد يقول هذه؟ لا إيران، لا حزب الله، لا حماس، لا الجهاد، لا السعودية، لا الأردن، لا أي بلد آخر! ليست موجودة، ولا الإخوان المسلمون، لا توجد هذه، ليست مطروحة! ألا يعني هذا أن هناك إشكالية كبيرة؟

أي: معنى الموضوع أن هناك عدواً - كما قلنا سابقاً - يتجه لحرب الإسلام غير مرتبط في ذهنيته بإقليم معين، الإسلام في اليمن، في السعودية، في الأردن، في العراق، في لبنان، في إيران، في كل مكان، أليست هذه فكرة عنده؟ ولم يواجه من يواجهه بنفس الفكرة! أليست هذه خطورة؟ هذه خطورة كبيرة، عندما لا يكون هناك من يواجهه بنفس الفكرة فهو يفسح مجالاً، أليس يفسح مجالاً؟ هم من خبثهم لا يستخدمون إفساح المجال لمجرد عمل، مسيرة، بل يستخدمونه أيضاً لترسيخ في الذهنية، في التثقيف.

حتى نقول: هم يستطيعون أن يغيروا عن طريق المخابرات، أليسوا يستطيعون أن يغيروا أنظمة عن طريق المخابرات الأمريكية؟ فلماذا يحاولون أن يغيروا علناً؟ ويتحدثوا علناً؟ نريد أن نزيل (صدام) لا بد أن نزيل (صدام). نأتي بحاكم من عندنا! أليسوا يقولون هكذا؟ هم يستطيعون عملياً أن يعملوا هذه، يستطيعون عملياً، لكن لخبثهم الشديد، وهم يعرفون أثر الأشياء، يركزون على أن يرسخوا في الذهنية العربية، يرسخوا في الذهنية - ليس فقط عملاً، بل أن تصبح الذهنية العربية قابلة لهذا، ويصبح العرب مسلمين - بأننا نحن أصحاب هذا الحق، نغير من نريد، ونطرح من نريد، بطريقة معلنة.

أليس هذا يكشف عن هدف آخر؟ هو: ضرب الذهنية نفسها، وترسيخ في الذهنية؟ وليس فقط مجرد أن يتمكنوا من أن يعملوا هذا عملاً. يستطيع في اليمن أن يغير، هم يستطيعون عن طريق المخابرات أن يغيروا (علي عبد الله) و(المؤتمر) بطريقتهم، بإمكانياتهم، بتغلغلهم في أجهزة الدولة هم يستطيعون، وفي أي بلد آخر، لكن هم يختلفون عنا في تفكيرهم، يعرفون أنه لا بد أن نجعل هذه النفسية تسلم، نجعلها تهزم، نجعلها تستسلم، نجعلها تؤمن بأننا نحن أصحاب الحق!

للأسف لا يوجد مواجهة لهذه النقطة، ترى الأمريكي داخل البلاد العربية يتحرك ويرى له شرعية، والبناني يتحاشى أن يتجاوز حدوده في منطقته، والإيراني يتحاشى أن يتجاوز، والسعودي يتحاشى، واليميني يتحاشى، والمصري هكذا، وكلهم كل واحد، أي: (تحرير بلادنا، مقاومة الاحتلال لبلادنا) وكلها من هذا النوع. نأخذ عبرة من الآخرين، إذا كنا نقرأ عن الصحابة، وتاريخ الصحابة، وما حصل بسبب "البهظة" وهذه الحالة، ما حصل بسبب هذه الظاهرة عند العراقيين، تجد هذه حالة خطيرة. أنت أمامك أمثلة، أمامنا أمثلة، أمامنا حالة كانت من هذه، ورأينا كيف آثارها إلى عندنا نحن، وكيف عانينا بسبب آثارها، فكيف لا يكون عند الإنسان حرص على أن يتخلى عن هذه الحالة، وهو قد أصبح يعرف بأنها من أسوأ ما يكون عند البشر حالة اللامبالاة، وعدم تقييم ما يقدم له من هدي الله، عدم الاهتمام، أو ضعف الاهتمام بما يقدم له؟! هذه الظاهرة هي التي ضربت المسلمين من البداية، فإذا كانت هذه هي عندنا ظاهرة فهي ظاهرة خطيرة جداً، انعكاسها على نفسية كل واحد منا قبل المجتمع، في هذا الزمن ربما أكثر مما كان ذلك اليوم، أولاً تنعكس هذه الظاهرة على نفسك فتحول دون تثقيف نفسك، فتكون فاعلاً بالشكل المطلوب، وبالشكل الذي يكون نصيبك من رضوان الله أكبر، ويكون أجرك أكبر؛ لأنك أصبحت في حالة تكون غير قابل أن تتثقف، لا بهذا الاتجاه وأنت تخاطب الآخرين، ولا بهذا الاتجاه وأنت تخاطب المجتمع فتعجب نفسك عن معارف كثيرة.

أيضاً يجب أن نعمل على أن نحافظ على نزاهة الله وجلاله وقديسيته عند عباده، في الوقت الذي لا يقدم الآخرون كل ما هناك من مظاهر سيئة يحسبونها على الدين فيقدمون الدين مضروباً عند الناس! ليظهر ولو لم ينجح الناس إلا في هذه لكانت جهاداً من أكبر الجهاد، في هذه النقطة وحدها، لو افترضنا أننا لم ننجح إلا في هذه: في أن نجعل الناس يفهمون أن الخلل هو من عندهم هم وليس من عند الدين، بطريقة ليست طريقة كلامية، تعرفه رؤى الدين، مفاهيم الدين، مواقف الدين من هذه القضايا، وكيف سيكون الناس لو ساروا على هذا الدين وفق هذه الرؤية القرآنية، بحيث إذا جاء اليهودي يريد أن يحمل الدين المسؤولية فلا تقبل هذه. بحيث إن الإنسان هو نفسه لا يقبل مثلاً قالوا هناك: (أين الله في العراق؟! أظن (نصر الله) حكاها، قال إن بعضهم يقولون عندما قال الله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ (سج:٤)، أين الله في العراق؟! لم يعمل للعراق شيئاً، ألم يحصل هنا الخطأ في المفهوم، انعكس على تحميل الله المسؤولية، وانعكس على تحميل الدين الخطأ؟ لا، اجعل الناس يفهمون ويؤمنون بأن الخطأ هو من عندنا نحن، نحن لم ننطلق على أساس هدى الله، أما دين الله فهو بهذا الشكل، وبهذا الشكل، وبهذا الشكل، ليس فيه خلل على الإطلاق.

أست هنا تنطلق تحافظ على عدل الله، ونزاهته؟ هذه النقطة مهمة جداً ليست سهلة. كيف تتمكن من هذه؟ هو أن نحاول أن نتقف أنفسنا بشكل كبير جداً وفق رؤية القرآن في نفس الهداية، ومن أين حتى تثقيف النفس، بناء النفس التي تتحدث عنها؟ يجب بناء النفس وفق الرؤية القرآنية، من أين تبني النفوس؟ بتعبيد الإنسان نفسه لله، بتسليمه نفسه لله، بثقته وإيمانه بأن الهدى هو من عند الله، ويتسبب له عن طريق سيره على هديه الذي رسمه في القرآن الكريم.

ليست القضية أن يقوم الإنسان هو نفسه يريد أن يبني نفسه بهذا الأسلوب. نحن نقول: إنه يوجد خطأ حتى في هذا المفهوم: في مفهوم كيف يبني الإنسان نفسه، إذا قُدمت مسألة بناء النفس، الإسلام هو يريد أن تبني النفوس ألم يقل: ﴿وَيَرْزُقْهُمْ﴾ تبني النفوس على أرقى مستوى في ثقافتهم، في طرحهم، في بيانهم، في قدراتهم، لكن أساس بناء النفس لا تغرق أنت في ذاتك، لا تغرق في نفسك أنت.

بناء النفس هو أن تسلم نفسك لله وتعبد لها لله، وتطلب منه هو الهداية وتتسبب للهداية عبر الطريق التي رسمها هو في قرآنه، هذا هو بناء النفس، لو ترجع أنت إلى نفسك تريد أن تبنيها أنت هنا يحصل غرور، يحصل رياء، يحصل كبرياء، يحصل الجهل، فتخط، تخط فعلاً، لن تبني نفسك على الإطلاق.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) تألم من الوضعية التي غادرها؛ لم يجد أشخاصاً كانوا يتفهمون تماماً، الإمام علي (عليه السلام) كذلك، أليس كذلك؟ معنى ذلك أن الذين يصيح منا نحن؛ لأنهم يتألمون هم من الناس الذين هم محيطهم، الذين هم أصحابهم، لا يتفهمون بالشكل المطلوب، إذا لم تتفهم نحن بالشكل المطلوب فبالتأكيد سيصيح القرآن منا، يصيح الذين منا نحن.

عندما تقول: (نحن) أليس أحياناً قد يقول الواحد: (نحن المجموعة الفلانية، ماذا نحن)؟ ليست القضية بهذا الشكل، أي مجموعة ولو ستة أشخاص لديهم قدرة يستطيعون أن يغيروا تغييراً كبيراً في الدنيا ولو ستة أشخاص، ليست قضية، يقول الواحد: (إنما فقط إذا قد صرنا كذا) بل القرآن ضَرَبَ هذه الفكرة، عندما رأى المسلمون أنفسهم أنهم قد صاروا كثيراً ضربهم، وأصبحوا غارقين في ماذا؟ في نفسياتهم (أننا قد صرنا اثني عشر ألفاً) ألم يضربهم في (حين)؟ إذا المسألة هكذا: أن تثق بالله، والمطلوب أن تعرف أنك لست رقماً جديداً، أي: لن يكون الناس رقماً جديداً أساساً، سيصبحون جنداً لله، أليست هكذا؟

الله هو ملك من قبلك وله جنود كثيرة غيرك، عندما يكلم المسلمين في (بدر) أن ينطلقوا أليسوا ثلاثمائة؟ إذا كانوا يتصورون أن ليس هناك إلا هم في العالم، فهو هذا أمدهم بثلاثة آلاف، قد يكون من أطرف قطعة من سماء في سمواته يمدهم بثلاثة آلاف من الملائكة.

أن يكون الناس عبارة عن ماذا؟ أن تفهم نفسك جندياً مثلما قلنا في محاضرة (الهوية الإيمانية): إن من فوائد الإيمان بالملائكة، الإيمان بأن لله جنود السموات والأرض أن تعرف - لتكون معنوياتك مرتفعة - أنك لست الوحيد، بل أنت واحد مع الرياح، مع الزلازل، مع الملائكة، مع أشياء كثيرة لا تعرفها، لست إلا جندياً قد تكون مثل بعوض، ومثل ضفادع ألم يستخدم ذلك مع آل فرعون فضربهم بضفادع؟ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفتح: ٤).

فهذه النظرة عندما ينظر الناس لأنفسهم قليلاً، فهذه نظرة خاطئة، تقوم على فهم ماذا؟ أننا شيء جديد في هذا العالم، أي: ليس مع الباري إلا نحن فقط! تكون نظرتك أنك ستنضم إلى الكتائب الفلانية، الله أعلم كم هي! التي منها هذه الرياح. ألم يقل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (الأحزاب: ٩)؟ الله موجود من قبلك، فقط تكون جندياً من جنوده، فقط، هذا هو المطلوب أنك جندي من جنوده، ثم سترى أنك رقم من ملايين الأرقام.

عندما يرى الناس أنفسهم باعتبار وضعيتهم أنه فعلاً ترى طوائف أخرى، ترى وضعيات بلدان أخرى عندها عوائق، عندها إشكاليات، عندها، عندها... وتجد - مثلما تحدثنا سابقاً - تجد نفسك لديك مجالات مفتوحة كثيرة ألا يعني هذا أن المسؤولية تكون أكبر؟ المسؤولية عليك تكون أكبر جداً، وأن الفضل عظيم جداً على الناس من جهة الله أن يهيئ لهم هم مجالات مفتوحة كثيرة، ووضعية يستطيعون من خلالها أن يثقفوا أنفسهم غير مضغوط عليهم بما يُوظّر منطقهم، لم يعد يظهر خلل إلا من جانبهم هم.

[الله أكبر / الموت لمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ١٨ من ذي الحجة ١٤٣٧ هـ
الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦ م

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦
دروس معروفة الله				
الثقة بالله - الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ٢٠٠٢/١/١٧	﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣	لتحذرن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجَنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٢/٨	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٢/٩	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٢/١٦	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٢/٢٣
﴿وَمُخَيَّي وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٢/٢٦	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٢/٨/٢٩	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ
الموالة والمعاداة ١٤٢٣هـ	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الوحدة الإيمانية	﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
دروس من هدي القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٨/٥/٢٠٠٣ إلى تاريخ ٢/٣/٢٠٠٣				
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢٩-٢١) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠-٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧-١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤-١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١١٥-١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦-١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٨٧-٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١٥-٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢٥٣-٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات (٢٧٥-٣٢٢) من آل عمران ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣-٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢-١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١-١٦٦) آخر السورة ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١-٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣-١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥-آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١-٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧-٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٨-١٠٥) آخر السورة ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١-٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩-١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣-آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١-١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨-١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣-آخر السورة) ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ



عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ مَنْ شَرِبَ مِنْ عِلَقِ الْكَلْبِ بَرَّ بِرَبِّهِ

三三三

النصر للإسلام

الأيام	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة
الست								
الأحد								
الاثنين								
الثلاثاء								
الأربعاء								
الخميس								

.....

المدرسة:

三才

الصف:

..... السنة الدراسية: